
رواية
اكذوبة
ابن الجن
مقبرة ابن الإله
محمد جلال كمال

إهداء

إلى كل من كنا نظن به أنه سندٌ فبقى إلى جنبنا حتى النهاية ولم يخذلنا.

كثير ما نمر بمراحل مختلفة في الحياة، الصادقون فقط هم من يبقون إلى النهاية.

أما إلى كل من خذلني عذرًا ما زلت لم أنكسر.

V V V

في واقع دنياوي غريب، فكثير ما تتغير الأحلام والأكثر إيمانًا فقط هم من ينجحون.

شابٌ في مطلع حياته ومنذ أن كان طفلًا كان يروده الكثير من الأحلام، ولعل سخرية القدر أن تتغير كل مجريات الواقع، فكم من حلم كان صعب المنال.

راودته الأحلام منذ الطفولة، أو كما يشاع منذ نعومة أظافره، والفرق بين النعومة والخشونة يمر عبر سنوات.

شابٌ كان في مطلع العشرين، كان طفلًا يحلم، ومن قبل كان رضيعًا يزحف دون سروال لا يبالي للحياة، تتغير نعومة الأظافر حتى تسير سرابًا.

مساحة من الصمت...

ثم سؤال؟

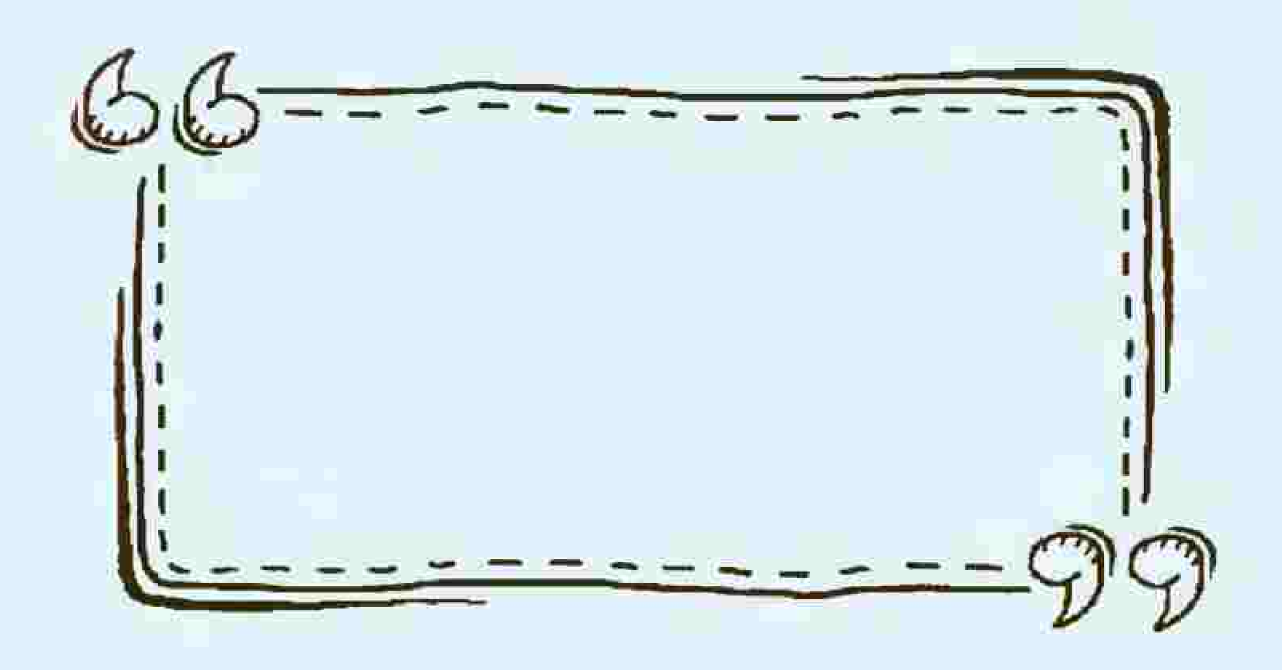
حقًا تُغيرنا الأقدار أم نحن مَن نُغيرها؟

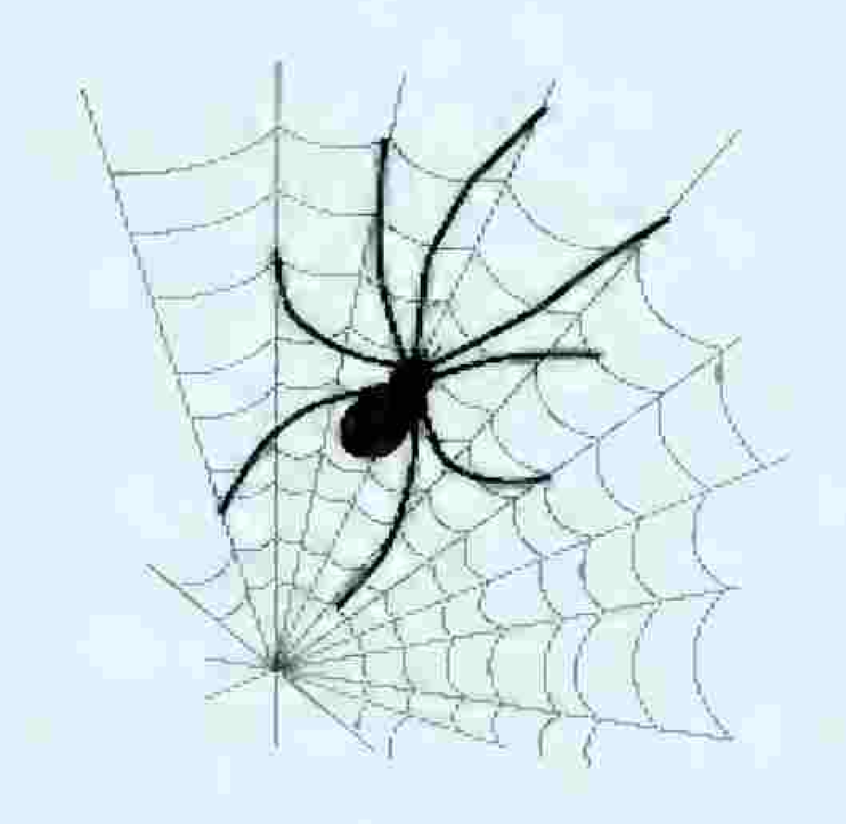
v v v

إلى ذلك الصوت الذي بداخلي، أرجوك لا تتوقف فها نحن قد

نبدأ في الحال.

v v v





ما قبل البداية

في غرفة مُغلقة يسكنها شابٌ لا يعلم ما الذي أتى به إلى هنا سوى البحث عن لقمة العيش، فلم يعرف لنفسه أرض ولا أهل فكانت تلك الغرفة هي الوطن.

جلس شاب يرتدي عباءة رمادية باهتة اللون يظهر عليها آثار الشقى والعمل طوال اليوم.

أضاء الشاب لمبة الجاز ووضعها أمام الباب، ثم جلس أمام طاولة صغيرة في منتصف الغرفة.

وضع إناءً به القليل من الفحم المُشتعل، وأخذ كتابًا من أسفل السرير ووضعه على الطاولة أيضًا، ثم أحضر منديلًا من القماش أبيض وسكينًا، وأمسك الكتاب بيده ثم بدأ بالقول:

"بخم بخم.. بحيم بحيم... ألواح ألواح.. العجل العجل.. سمسائيل الهوام يحاقوف سمسائيل الهوام يحاقوف انصرفوا يا عمار المكان انصرفوا يا عمار المكان فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بهاميم بحق سمسائيل أقسمت عليكم أن تنصرفوا يا عمار المكان".

اهتزت لمبة الجاز الموضوعة إلى جانب باب الغرفة، واهتزت الطاولة هزات خفيفة.

كانت تلك الاهتزازات علامة على انصراف عمار المكان.

أمسك الشاب بالسكين الذي أحضره وجرح إصبع يده جرحًا بسيطًا ونقش به على المنديل القماشي طلسمًا

كان منقوشًا داخل الكتاب، ثم أمسك بعض البخور ووضعها فوق الفحم المُشتعل فتعلى دخان البخور دخل الغرفة ومعه ارتفع صوت ذلك الشاب:

"مخائيل مخائيل.. سمائيل سمائيل.. سمسائيل الهوام يحاقوف سمسائيل الهوام يحاقوف أقسمت عليك يا ابن الجان يا ملك الأرض وخادم الزمان احضر في التو والحال وارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بهاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا.. الوحا الوحا.. العجل العجل.. الساعة الساعة".

ارتفع لهب عظيم من الفحم المُشتعل أمام الشاب على الطاولة، وظهرت كتلة من النار على الجانب الآخر من الطاولة في مواجهة ذلك الشاب الجالس ارتفعت معها درجة حرارة المكان وظلت تتشكل حتى ظهر كائنٌ على هيئة غوريلا سوداء اللون، ولكن طول قامته كانت أطول من حجم الغوريلا العادية، وكان له عضلات أكبر من عضلات الغوريلا أيضًا، أما الوجه فكان كريه الشكل ذو عين واحدة والأخرى فارغة،

وشعر رأسه متساقط يظهر عليه الصلع وبدون أذن وذات فم كبير ممتد إلى الخارج.

ارتجف الشاب الجالس في مقعده من ذلك الكائن، وظل يحاول أن يتمالك أعصابه حتى تحدث ذلك الكائن:

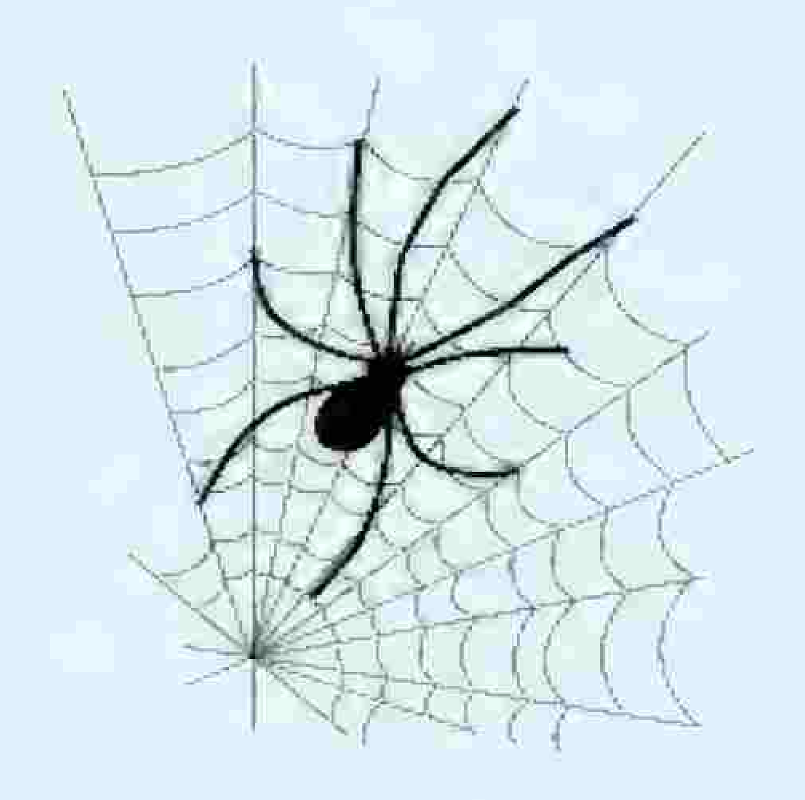
- استدعتني ليه؟

ابتلع ذلك الشاب ريقه وأخد نفسًا عميقًا:

- المرة اللي فاتت إنت جيت من نفسك، المرة دي أنا اللي طلبتك تيجي وعهد الدم على المنديل قدامك أهو، وأنا موافق على كل طلباتك بس أنا ليا شرطين الأول منهم إني أتجوز بنتك.

نظر له الجان الجالس أمامه وارتفع معه صوت ضحكة أعتقد أنها أكثر ضحكة كرهت أن أسمعها طوال حياتي.

٧ ٧ ٧



سنة 2011

المكان كورنيش الإسكندرية، وبالتحديد فوق كوبري ستانلي أحد أشهر وأهم الأماكن بالكورنيش، وإلى جانب إحدى عربات حمص الشام كان يجلس أحمد إلى جانب العربة على طاولة بلاستيكية ويضع بعض الأوراق أمامه، وإلى جانبه حقيبته المُعلقة على الكرسي الآخر أمسك بقلمه يكتب وهو ناظر إلى البحر، وما أن انتهى حتى قام بوضع الورقة في زجاجة المياه

الفارغة أمامه وألقى بها في البحر، كانت تلك هي عادته، ولكنه لم تكن عادته بمفرده.

- إيه يا أستاذ أحمد هي أستاذة سلوى مش جاية النهارده ولا إيه؟

قالها عم محمود بائع حمص الشام.

- لا يا عم محمود مش جاية.. ومش هتيجي تاني خلاص.

- ليه كده بس؟

- أهو يا عم محمود مفيش نصيب خلاص.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يكتب لكم الخير يا رب ويصفي النفوس.

ظل أحمد جالسًا شاردًا يراقب الزجاجة التي ألقى بها في البحر وهي تحارب وسط الأمواج حتى غلبتها الأمواج وغابت تحت الكوبري متجهة إلى الشاطئ.

- هعدي عليك بكرة يا عم محمود، أشوفك على خير.

قالها أحمد متجهًا إلى الطريق.

- هستناك تنورني في أي وقت يا أستاذ أحمد على خير يا رب.

ظلت الزجاجة تحارب وتركب الأمواج حتى وصلت إلى الشاطئ، كان هناك شخصٌ ما يترقب الزجاجة ويتابعها حتى وصلت إليه.. أعتقد أن ملامحه ليست غريبة عليَّ.

يوم لا أنساه

السبت 29 أبريل

المكان أشبه بحفرة، أو إن صح التعبير المكان كان أشبه بالبئر،

أحب بئر يوسف عليه السلام لأنه بعد البئر المُظلم خرج إلى الخير والنور.

أنا أيضًا كنت داخل بئر، المكان كان أشبه بالظلام التام، حقًا إنه ظلام تام.

أنا خائف، أنا لا أحب الظلام، أنا أكره الظلام، ولكنني أخاف من ذلك العالم بالخارج.

أنا أكره التعامل معهم أنا أكرههم لا أحب أنا أراهم، لا أحب التحدث لا أحب التحدث، أريد أن أظل صامتًا، لن أتحدث لن أتحدث حتى إلى نفسي.

مَن؟ مَن الذي يرفع غطاء البئر؟ مَن؟ ابتعد ابتعد لا أريد الخروج ابتعد.

كانت فتاة لا أعرفها ولم أرها من قبل، قالت اخرج ولا تخف، لا لا لا.. لا أريد الخروج.

ابتعدي أرجوكِ.

اقترب أنت ولا تخف، ثم مدت يدها إلى البئر وأخرجتني ونفضت التراب عن وجهي وظهري.

وقالت ما الذي حدث لك، ولكن أنا رافض الحديث، اقترت مني أكثر ومسحت على رأسي.

شعرت وقتها بدفءٍ في دخلي وبأمان شديد وبكيت بشدة، وقبل أن تعيد السؤال عليَّ تحدثت وكأنني لم أتحدث من قبل، ولكنني قد نسيت، دائمًا ما أكون أنا البديل، بديل ناجح جدًا، أقف إلى جانبكم فترة من الوقت، طالت أو قصرت فأنا لا أتعدى أنا أكون كوني فترة، ودائمًا ما تمر الفترات وتنتهي بالنسيان، وفي حقيقة الأمر لم أعد أتذكر كم عدد المرات التي أصبحت بها فترة، وسؤالي الأهم هل أنا حقًا فترة ممتعة؟

هل أنا فاصل من الضحك والطرب والمرح، هل أنا أضحوكة؟ هل كوني لا يتخطى عرائس المسرح أو الأراجوز والبلياتشو؟ الجميع يأخذني معه إلى النفق المُظلم من أجل إسعاده.

وعندما يسقط الأراجوز على المسرح ينهال الناس بالتصفيق، وبعد انتهاء العرض الجميع يخرج وأظل أنا

هنا وحدي.

أنا أخشى الظلام جدًا، قلبي يرتجف خوفًا منه، ولكن هو أحن عليّ من ذلك العالم المرعب.

آسف كوني أراجوزًا، كان يتحتم عليّ أن أسعدكم، ولكن أنتم مَن نسيتم أن الأراجوز يحركه إنسانٌ، وأنا منهمك تمامًا.

أُفَضِّل الدخول في فترة من العُزلة أبتعد فيها عن المسرح، أعتزل كوني أراجوزًا.

الظلام يسيطر على كل مكان، ولم أعد كوني خائفًا أستطيع الرؤية في الظلام، أستطيع أن أسيطر على أوجاعي، أستطيع أن أُغمض عيني فلا أشعر بما يُخيف، أستطيع البكاء دون أن يراني أحد.

لماذا الدنيا تَهِب لنا كل شيء ثم في لحظات تسلب كل الأشياء.

مَن أنا؟ ومَن أنتي؟ ومَن أنت؟ ومَن أنتم جميعًا؟

أعتاد العيش كل يوم في مشهد فرعي في حياة أحدهما، أكون ممثلًا على الهامش إذا كان العمل في حاجة إليَّ.

أدخلني المخرج، وإذا لم يكن يحتاجني يحذف المخرج كل الدور، الكل يضعني على هامش الدور الفرعي، وإذا كنت هامشًا فبدوني الحبر على الورق يكتمل لا ينقص.

ولكن السؤال الذي ظل وما زال يراودني، السؤال المهم بالنسبة لي أنا، متى دوري في البطولة؟ متى أتحكم في الكاميرات والتصوير والزوايا؟ متى أملك أنا المسرح؟ متى أحرك العرائس؟ متى تجتمع الخيوط بين يدي؟ متى أعيش في سلام نفسي؟

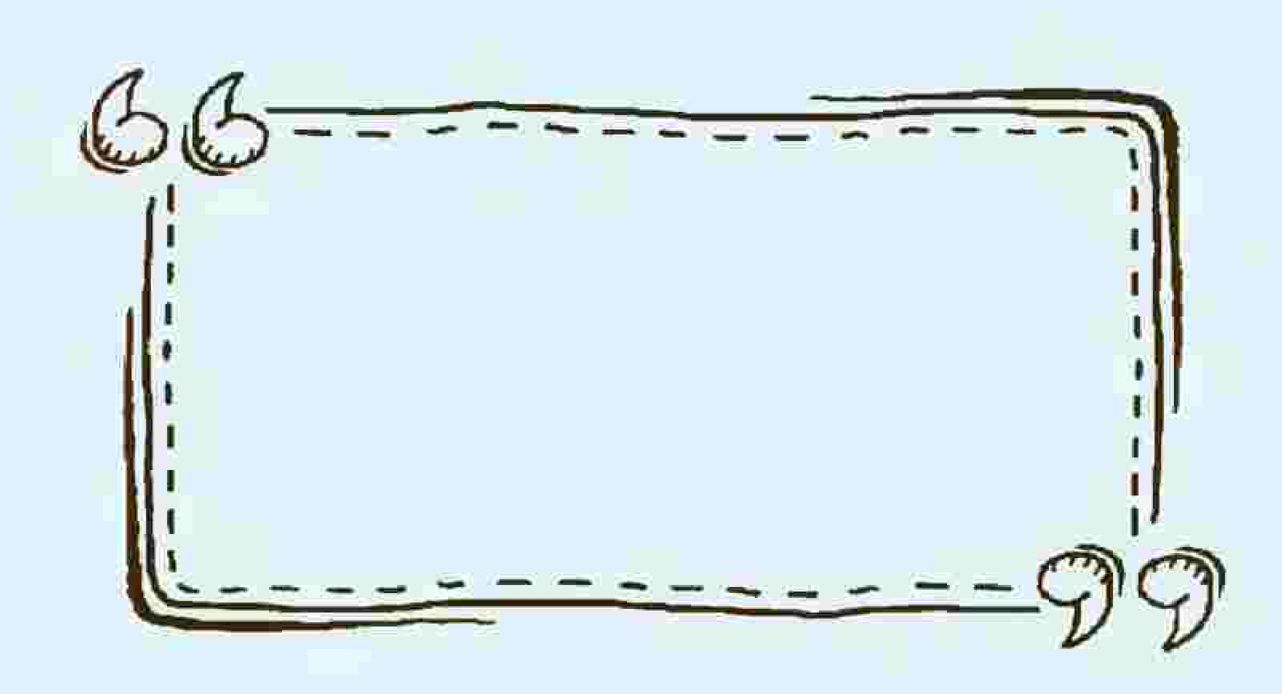
بعض زجاج النوافذ في المنازل الجديدة رائعًا، يُعطي للمنزل لمعانًا وبريقًا قد يخطف الأنظار في معظم الأوقات، ولكن ما يخطف القلوب ما وراء ذلك الزجاج، ما وراء ذلك قد تدمع له العيون وقد تذبل له القلوب، فالحقيقة هي الأمر الصعب في حياتي، فالكل يرحل

بعد أن يعرفها الكل يغيب دون استثناء، لا أستثني أحدًا على أحد، ولكن أنا من يبقى وحيدًا.

أجدد حلمي كل صباح، وفي المساء ينطفئ ضوئي ويذبل، وكالمعتاد الورد الذابل يُلقى من أقرب نافذة فينكسر قبل سطوع الشمس.

نعم أعلم أن كل حلم سوف ينتهي بكابوس مخيف.

٧ ٧ ٧





2015بعد مرور أربعة أعوام

في أحد شوارع الإسكندرية الشهيرة والمعروفة إلى الجميع شارع النبي دانيال، حيث تتراص الأكشاك إلى جانب بعضها البعض، وقف رجلٌ في سن الخمسين من عمره يبحث في بعض الكتب الموضوعة أمامه، كان بداخل ذلك المحل رجلًا يقف فوق سلم أمام إحدى الرفوف، حركته البطيئة أظهرت كبر سنه، وما أن نزل عن السلم والتفت إلى الخارج فأظهرت تجعيد وجهه سنه أنه على مقربة من عامه السابعين.

- السلام عليكم يا عم عواد.

- وعليكم السلام يا أستاذ فواز، قالها وهو يبتسم.. فينك مش بتظهر الأيام دي ليه؟

- مشاغل الدنيا كتير يا عم عواد إنت عارف بقى.

- ربنا يعينك يا أستاذ فواز.

- بقولك يا عم عواد كنت محتاج الكتب اللي في الورقة دي بعد إذنك.

* * *

مرت الأيام تتابع بعضها والمرض يشتد على فواز والد أحمد، إلى أن استيقظ أحمد يومًا من نومه يحاول إيقاظ والده فلم يستيقظ.

أنهى أحمد عزاء ولده، وما أن انصرف الجميع جلس أحمد على أريكة صغيرة بغرفة الصالون، وظل يقلب عينيه في كل أنحاء البيت الذي أصبح فارغًا الآن، وتمر عليه العديد من الذكريات، فقد جمعه العديد من الذكريات بدخل البيت مع والديه قبل وفاتهما.

الشقة تتكون من ثلاث غرف، الغرفة الأولى كانت لوالديه قبل وفاتهما، وكانت تتكون من غرفة نوم قديمة وهي سرير ودولاب وتسريحة.

أما الغرفة الثانية فكانت غرفة أحمد، وكانت تتكون من دولاب صغير وسرير صغير إلى جانب مكتبه الخاص الموضوع فوقه بعض أوراقه الخاصة، إلى جانب الكومبيوتر الخاص به، أما في الغرفة الثالثة فكانت هذه هي مكتبة والده ومكتبه في نفس الوقت وكان لا يحب أن يدخل أحد غيره حتى في نظافتها كان يقوم هو بها.

وتخرج من الثلاث غرف إلى حجرة الصالة، وهي مقسمة إلى قطعتين الأولى للمعيشة واستقبال الضيوف، والثانية للسفرة وتناول الطعام والعزومات إلى جانبهما ممر صغير يوصلك إلى المطبخ والحمام.

أما عن البيت فكان بيتًا صغيرًا يتكون من ثلاثة طوابق، وكانت هذه الشقة في الطابق الثالث.

ظل أحمد جالسًا على تلك الأريكة لفترة طويلة مرت بها جميع ذكرياته في البيت من طفولته وحتى هذه اللحظة.

بدأ أحمد بعد ذلك بالحركة في الشقة، ووقف أمام باب مكتب والده للحظات، ولكنها مرَّت وكأنها ساعات عليه، ثم فتح بعد ذلك الباب ودخل إلى المكتب، كان ينظر في جميع أرجائه فلم يدخل إلى ذلك المكتب منذ زمن بعيد، ظل ينظر في كل مكان نظرات سريعة وكأنه يتذكر المكان، ثم وقف أمام المكتبة ونظر إلى ما بها من كتب، وكان التراب يُغطي كل هذه الكتب نظرًا لتعب والده فلم يدخل إلى المكتب أيضًا منذ مرضه.

جلس على مكتب ولده ووجد ملفًا صغيرًا موضوعًا فوق المكتب، نظر أحمد إليه واتسعت حدقة عينيه من الدهشة وهو ينظر بين صفحات ذلك الملف.

ابني العزيز، في تلك اللحظة التي تقرأ بها هذا الملف أكون قد فارقت الحياة، أنا أعلم ذلك جيدًا.

"في ذلك الملف سوف تجد أوراق ملكية البيت الذي نسكنه هنا، أصبح الآن ملكك، فعليك أن تُكَوّن به عائلة جديدة، أما العقد الثاني فهو لبيت جدي الذي كان يسكن به عمك الأكبر وأبناؤه، لم نذهب لهم منذ زمن، ولكنني على علم أنك تتذكرهم جيدًا ولا تنساهم في دعائك، ذلك البيت أصبح ملكك الآن أيضًا.

أما باقي الأورق فهي لبيت عائلتي القديم، ترجع هذه الأوراق إلى زمن بعيد أكثر من مائتي عام، وهي وثائق ملكيتك للبيت، والبيت ما زال موجودًا وكنا نذهب إليه كل فترة، ولكننا لم نكن ندخل إليه، أغلق جدي الأكبر ذلك البيت وأوصى أبناءه بعدم فتحه، كما أوصى جدي أبي بذلك وأبي أوصاني، وأوصيك أنا الآن بعد أن أصبحت أوراقه بيدك.

لا أعلم قصة ذلك البيت، وما أعلمه أفضل أن أخفي وأوصيك أن تحفظه كما أوصاني جدك.

البيت موجود إلى جانب بيتنا وعلى بعد كيلو منه تقريبًا، أما مكتبتي فهي لك، الآن أصبحت كل الخيوط

بيدك.

بني العزيز اعرف قدر نفسك جيدًا، وأعلم أنك ستحفظ البيت لكن عليك أن تعلم أن لذلك البيت سر عظيم إذا فهمت تلك الكتب وربطها بالبيت ستفهم كل شيء..

أوصيك يا بني أن تعرف قدر نفسك وقدرك أن تحفظ البيت".

ظل أحمد جالسًا في مكانه يُفكر فيما وجده في الورق ويقلب في بعض الأوراق الأخرى، ثم أخذ مجموعة من الأوراق ودخل بها إلى غرفته، وجلس على مكتبه يبحث عن شيء ما عبر الإنترنت حتى غلبه النعاس فنام بمكانه دون أن يشعر.

مَرَّت ساعات الليل واستيقظ أحمد من نومه في الصباح على صوت جرس الباب.

- صباح الخير.. البقاء لله يا أحمد.

ظهرت على وجه أحمد علامات الدهشة، وظل الصمت للحظات ثم استدرج أحمد الحديث فقال:

- ونعمة بالله.. تفضلي.

دخلت سلوى من الباب واتجهت نحو الأريكة في الصالة وتبعها أحمد دون أن يغلق الباب.

- عرفت إمبارح بخبر وفاة عمي، بس كان الوقت متأخر فمقدرتش آجي... قالتها سلوى

- الدنيا والدوام لله... شكرًا على واجبك.

- إنت لسه زعلان مني يا أحم...

قاطعها أحمد قائلًا:

- لا مش زعلان ولا حاجة، ولا في أي حاجة في حياتي اتقصرت ولا اتغيرت وكل حاجة تمام، بس بعد إذنك علشان ورايا مشاوير كتير أوي النهارده.

نهضت سلوى من مكانها مُسرعة، وكان وجهها قد أحمرَّ من شدة الخجل، فالموقف كان من الصعب تصديقه بالنسبة لها، فخرجت من باب الشقة وأغلقته خلفها، وكانت العصبية قد ظهرت على وجه أحمد فقال بصوت مخنوق:

- أنا مش هسيبك أبدًا، أنا هفضل جانبك لحد ما توصل لحلمك، أنا بحلم بالمكان اللي إنت بتحلم بيه وهنفضل مع بعض للأبد، هفضل جنبك لحد ما تبقى أحسن حد الدنيا دي.

ااااه كلام، كله كلام، إنتي فين دلوقتي، فين كلامك ده، وفين كل الوعود دي؟ أنا لوحدي أهو، أنا لوحدي سمعاني أنا لوحدي.

سقط أحمد على الأريكة محاولًا تمالك أعصابه والهدوء.

* * *

- إيه المكان ده هو أنا فين؟ ده حلم! وإيه الأوضة دي هي ليه ضلمة أوي كده، أنا بخاف من الضلمة أوي إيه وإيه اللي هناك ده؟!

بدأ بالحركة دخل الحجرة، كان يعلم أنه حلم ولكنه كان على علم بأنه لا يستطيع التحكم بما يحدث وكل ما كان يظهر من المكان، إنها غرفة مظلمة ولا شيء آخر يظهر، بدأت الأرض في الاهتزاز تحت أقدامه اهتزازات خفيفة ولكنها هزَّت معها قلبه.

- إيه اللي بيحصل هو في إيه؟ أنا مابقتش فاهم أي حاجة.

اهتزت الأرض مرة أخرى، وبدأ شعاع من النور يظهر كأنه شعاع بسيط، لكنه أظهر ملامح المكان، كان واضحًا أن المكان أشبه بمنزل قديم يتكون من طابق واحد فقط وهو الطابق الأرضي، وله سلم في مواجهة الباب يوصلك إلى السطح، أما البيت فكان شقة من الدور الأرضي بها ثلاث غرف وصالة كبيرة، لم يكن بالبيت الكثير من الأثاث، بل كان هناك أريكة من

الخشب وضع فوقها مجموعة من المساند وغطاء من الصوف، وإلى دخل إحدى الغرف سرير كان من الواضح عليه أنه قديم إلى حد كبير، فهو سرير من السرائر الحديدية القديمة، إلى جانب دولاب ضخم في الغرفة طوله حولي ثلاثة أمتار وعرضه مثله وله ثلاثة أبواب.

أما بالخارج فكان أسفل سلم الصعود إلى السطح فرن كبير وطبلية،

كل معالم البيت كانت تظهر أن المنطقة من مناطق الأرياف.

ظل يتحرك دخل ذلك البيت وكأنه يتعرف على المكان، ودخل إلى غرفة فارغة تمامًا، واهتزت الأرض فجأة وبدأ المكان يمتلئ بالغبار والأبخرة غير معلومة المصدر.

- إيه ده؟ ده ده ده تعبان!

فزع مرة واحدة عندما نظر إلى الإمام وجد ذلك الثعبان يتشكل دخل المكان، كان ثعبانًا كبير الحجم، طوله أكثر من ثلاثة أمتار وله رأس كبيرة، التفت صاحبنا حول نفسه محاولًا الهروب من ذلك المكان، ولكنه فشل، وجلس في أرض الغرفة في أحد الأركان ينظر للحائط، وكان قد استسلم إلى ذلك الأمر، فقد فشلت كل محاولات الهروب والفرار، ولكنه استمع فجأة إلى صوت من خلفه كان الثعبان هو مصدر ذلك الصوت.

- كنت تعلم أنك عندما تصل إلى هنا لم تستطع الاختيار بعد ذلك.

* * *

استيقظ أحمد من النوم وكان يتصبب عرقًا لما كان قد شاهده في ذلك الحلم الغريب، ظل بمكانه للحظة وكأنه يتأكد من أنه كان يحلم وأن ذلك الكابوس انتهى، وأنه قد استيقظ حقًا.

- إيه الحلم ده كان كابوس بايخ بشكل، الحمد لله إني صحيت.

ابتسم أحمد عندما تيقن أنه كان بداخل كابوس، وأنه الآن في منزله ولم يحدث له أي شيء، أصبح أحمد يعيش بمفرده في بيته، فوالدة أحمد توفيت وهو في الصف الأول الثانوي، كان وقتها يبلغ من العمر حوالي ستة عشرة عامًا، ولكنه ظل يعيش إلى جانب والده، فكان أحمد وحيدًا ولم يقدر على ترك والده وحده، خصوصًا أنه كان مريضًا ويحتاج إلى من يهتم به.

أحمد بلغ من العمر اثنين وثلاثين عامًا، حصل على ليسانس حقوق ويعمل بأحد مكاتب المحاماة، فلم يتمكن من العمل بمفرده ففضل العمل مع محامي كبير ومعروف.

أمسك أحمد بهاتفه المحمول:

- ألو.. صباح الخير.. كله تمام.. تمام نتقابل بالليل.. سلام.

قالها أحمد وهو يغلق خط الهاتف.

على الجانب الآخر من الهاتف كان فهد صديق أحمد منذ الطفولة.

استيقظ صاحبنا من النوم وقد أخذ نفسًا عميقًا، ثم افتح عينيه وقال:

إيه الحلم ده! ده كان حلم عجيب بشكل!

ثم نظر إلى هاتفه وهو يغلق الخط: يعني مش قادر تستنى يا عم أحمد لحد ما أكمل بقى الحلم.

رفع فهد غطاءه عنه، وبدأ في الحركة دخل الغرفة، وفي الوقت نفسه يقوم ببعض التمارين الرياضية الخفيفة التي تساعده على النشاط، وبعد أن أنهى هذه التمارين تحرك فهد من غرفته ودخل إلى الحمام، لم يكن يعتاد أن يطيل بدخل الحمام، وما أن خرج منه حتى اتجه إلى الثلاجة ووضع أول شيء وجده أمامه في فمه، ثم عاد إلى غرفته وبدأ بتغيير ملابسه.

فهد كان يعمل مهندسًا بالمساحة، تابع للهيئة العامة للمساحة والدراسات، وقد تخرج فهد في كلية الآداب قسم الجغرافيا بتقدير عام جيد جدًا، ويعيش مع والديه في منزل صغير يجمعهم هم الثلاثة بعد أن تزوجت أخته الصغيرة نرمين، وسافر أخوه الأكبر علي إلى الخارج من أجل العمل، ويعيش فهد مع والديه بمنطقة سيدي جابر بالإسكندرية

ارتدى فهد ملابسه وما أن انتهى وخرج من غرفته حتى وجد والدته أمامه:

- صباح الفل يا ست الكل. قالها فهد

- صباح الخير يا بكاش.. رايح على فين من بدري كده؟

- نازل شوية هخلص كام مشوار كده وبعد كده هقابل أحمد، الواد شكله لسع خالص بعد موت أبوه. قالها فهد وهو يبتسم

فأجابته والدته:

- ربنا يصبره يا رب.. نستناك على الغدا ولا هتتأخر؟

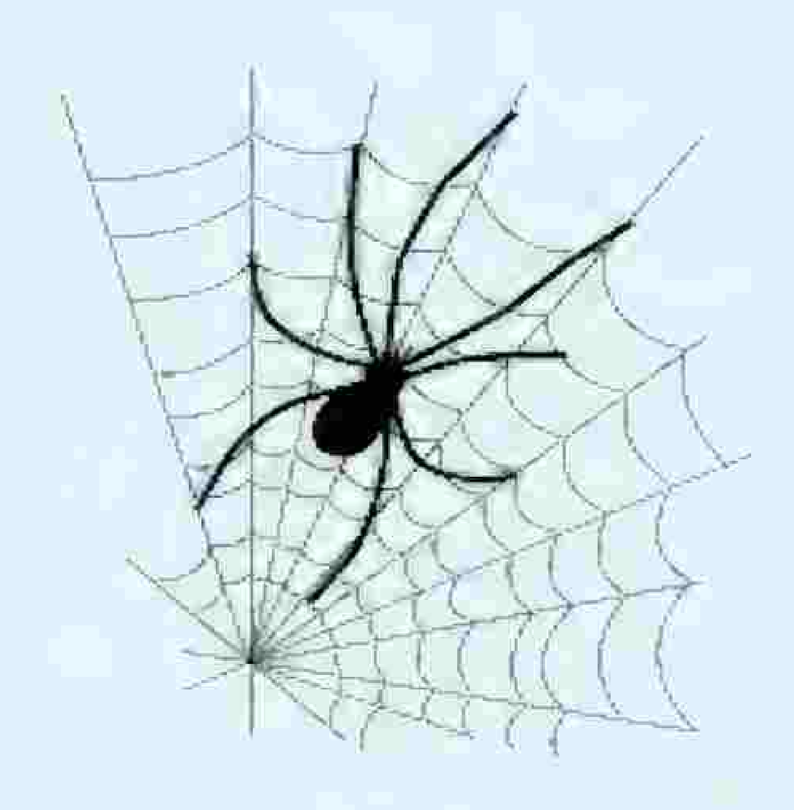
- لا كلوا أنتم أنا هتغدى بره النهارده... هتغدى مع أحمد.

- طيب متنساش تسلملي على مريم، أقصد تسلملي على أحمد. قالتها ولدة فهد وهي تبتسم له فبادلها هو الابتسامة وقَبّل رأسها ثم انصرف.

خرج من باب شقته وهو يبتسم.

مرّت ساعات النهار وغربت الشمس وأتى موعد لقاء فهد وأحمد على القهوة، ولكن أحمد لم يكن على طبيعته وانتهى ذلك اللقاء سريعًا.

V V V



بعد مرور ثلاثة أشهر تقريبًا.

ديسمبر 2015

في إحدى مناطق الإسكندرية وبالتحديد منطقة سيدي جابر خلف محطة القطار بأحد مقاهي المنطقة.

جلس فهد على المقهى في شرودٍ تام ممسكًا بالهاتف بيده دون النظر إلى شيء دونه، ولكن نظرته كانت توحي بأنه لا يهتم لهاتفه كأن هناك شيء ما يشغله،

وينصب كل تركيزه عليه، ولكن لم يدم ذلك الوضع طويلًا حتى انقطع صمته.

- إزيك يا فهد.. قالها إبراهيم.

نظر إليه فهد وما زال وجهه يتسم بالشرود ولم تتغير تعبيراته:

- تمام يا إبراهيم.. اقعد اقعد.. عرفت توصل لأحمد؟

- في الحقيقة لا.

- غريب جدًا تفتكر اختفى فين كل ده؟!

ظل الصمت مخيمًا على فهد وإبراهيم، وكان كل منهما في شروده، فكان اختفاء أحمد يقارب على الثلاثة أشهر منذ آخر لقاء له مع فهد لم يظهر بعد ذلك، اللقاء الذي كان يظهر به أنه ليس بحالته الطبيعية وهناك خطب ما، خصوصًا أنه لم يخبر فهد بلقائه الأخير مع سلوى وزيارتها له.

* * *

في غرفة هادئة من منزل أحمد كانت الساعة في ذلك الوقت تقارب على الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، وكان أحمد قد غيَّر ملامح غرفته تمامًا، حيث أفرغ الغرفة من كل ما بها من محتويات، وغيَّر بعض قطع الأثاث بالغرفة فأصبحت غرفة أحمد تحتوي على بعض الكراسي وطاولة صغيرة وأريكة، وكان عدد الكراسي كرسيين بالتحديد.

أغلق أحمد نافذة الغرفة التي كانت تطل على الفناء الداخلي للمنزل، وأحضر شمعة وكتابًا من مكتبة والده التي أصبحت ملكه الآن، وبعض البخور وإناء فخار وضع به بعض قطع الفحم المُشتعلة.

أشعل أحمد الشمعة الموضوعة أمامه على الطاولة، ثم وضع بعض البخور فوق قطع الفحم المُشتعلة وأمسك بكتابه بيده.

بدأ في قراءة:

"بريقن بريقن.. سمائيل سمائيل.. بحق ملك الجن الأحمر وبحق ملك ملوك الجان أقسمت عليكم بالانصراف يا عمار المكان.. الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة..

كان لانصراف عمار البيت بعض العلامات المذكورة بالكتابة من اهتزازات بسيطة بأثاث المنزل وحركة للمصابيح المطفأة.

انتهى أحمد، ولكن لم تحدث أي علامة من العلامات المذكورة في الكتاب.

ظل صامتًا لبعض الوقت.

ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب من خلفه، واتجه إلى غرفة نومه التي كانت لوالديه، ولم يدم ذلك الصمت طويلًا على وجه أحمد الذي فَضّل النوم دون شيء آخر، فقد أصبح النوم ذلك الصديق الذي ظل إلى جانبه طوال هذه الفترة الماضية.

* * *

جلس فهد في غرفته وعلى سريره، كان يُفكر ما الذي قد حدث لأحمد.

فهد وأحمد أصدقاء منذ الطفولة، منذ أن كانا يجلسان إلى جانب بعضهما في الصف الابتدائي، ولم يغب يومًا واحدًا عن السؤال عن بعضهما، فكان لاختفاء أحمد علامات استفهام قوية.

كان فهد ممسكًا بالهاتف محاولًا الاتصال بأحمد، ربما يجد هاتفه المغلق قد عاد للعمل من جديد، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل.

وظهر ذلك الفشل على وجهه بعدما فضَّل هو الآخر النوم ليريح رأسه من التفكير في ذلك، ولم تمر سوى لحظات حتى وجد فهد نفسه يقف في صحراء بها طريق صغير ممهد للسير، ولكن يبدو أن العصر مختلف، أدرك وقتها أنه بداخل حلم فلم يحاول أن يستفيق منه وظل يشاهد ما يدور.

كان على المقربة عربات خشبية تُجر بالأحصنة تحمل البضائع وبها بعض الرجال مع البضائع، ثم ظهر بالمكان فجأة بعض من يركبون الخيال، كان الجميع يخفي ملامح وجهه تمامًا، فقد أخذ كل منهم بطرف عمامته يغطي بها وجهه ولا يظهر منه غير عينيه.

كان عددهم عشرة رجال هجموا على تلك العربات وحاصروها من كل مكان، حاول مَن بالعربات إخراج أسلحتهم والدفاع عن أنفسهم ولكن ما أن هجم الرجال على العربات حتى أخذوا يقتلون كل مَن بها بطعنات متكررة حتى سقط الجميع على الأرض واستولوا على العربات.

تبخر المكان فجأة ووجد فهد نفسه بداخل غرفة بيت قديم من الطين ويقف أربعة رجال في ارتجاف، وجميع جدران البيت تهتز، والجميع يحاول الفرار، لكن كان يظهر عليهم أنهم لا يجدون الباب والجميع يرتطم بالحائط.

ظهر نور فجأة لم يكن نور معتاد، ولكنه كان شعاعًا من النار، فوقف الجميع في مكانه دون حركة، وكان هناك صوت ما يتحدث، ولكن فهد لم يكن يفهم منه شيء فظل يراقب للمشهد في ترقب شديد حتى نظر أحد الرجال الأربعة باتجاه فهد الذي كان يعتقد أنهم لا يرونه، ولكنه تفاجأ بتلك النظرة، لم تكن ملامح الرجل واضحة ولكنها شيئًا فشيئًا بدأت تتشكل لفهد في وضوح حتى تفاجأ وقال أحمد؟!

استيقظ فهد من نومه في فزع شديد رغم أنه يعلم أن ذلك حلم، وبعد أن هدئ فسر ذلك أن عقله الباطن هو الذي هيأ له ذلك الحلم بعد أن فشل في الوصول إليه.

نظر فهد إلى ساعته فأدرك أنه لم يمر الكثير من الوقت بالكاد، قد نام لنصف ساعة أو ما يقل عن ذلك، فالساعة لم تتجاوز الثانية عشرة ونصف من الليل.

* * *

في منطقة باكوس بالإسكندرية تلك المنطقة الساهرة، وعلى أحد المقاهي المعروفة بها جلس الشيخ نبيل

عبدالرحمن الذي أتى إليه القهوجي وقد طلب منه قهوة مضبوط وكوب ماء ساقع.

كان من الواضح على علامات وجهه أنه في انتظار أحد ما، ولم تمر إلا لحظات حتى أتى إليه ذلك الشخص.

كان رجلًا في الأربعينات يرتدي العمامة والجلباب الصعيدي، ملامح وجهه جامدة لا يبتسم، أسمر البشرة وآثار العمل في الشمس الحارقة قد ظهرت على وجهه.

- السلام عليكم يا شيخنا.

- وعليكم السلام.. اتفضل يا عم عز اقعد.. تشرب إيه؟

- ولا حاجة يا مولانا. قالها عز وهو يبتسم.

- ولا حاجة إيه بس.. هجبلك شاي أنا عارف إنك بتحبه.

نادى نبيل على القهوجي وطلب منه الشاي، ثم التفت إلى عز بعد أن انصرف القهوجي.

- خير يا عم عز إيه الموضوع ده بقى؟

- بص يا مولانا، ده بيت بتاع جماعة كده زي ما تقول يعني كانوا عايشين بره ولسه راجعين، البيت ده كان مقفول من فترة وبعد وفاة صاحب البيت الله يرحمه ابنه اللي كان مسافر بره رجع بعد وفاة أبوه بسنتين، وفتح البيت وقاعد فيه هو ومراته وابنه وبنته.

المهم بقى يا شيخنا إن الناس دي كانت كل يوم بتحلم إنهم بيحفروا في أرضية البيت لحد ما بتطلع منها ميَّه، ولحد ما الحلم ده بدأ يتكرر بصورة مستمرة، واكتشف الراجل إن هو ومراته وعياله الاتنين بيحلموا نفس الحلم، جابوا أكتر من شيخ ويدخله البيت وقرأوا قرآن ورقوهم ومفيش حاجة اتغيرت، لحد ما آخر واحد جه رقاهم وبعد كده طلب إنه يقعد مع الراجل لوحده، ولما دخل معاه المكتب قاله البيت ده مدفون تحت منه حاجة، وعلشان كده كلهم بيحلموا بالحلم ده، وقال إن حدوده لحد هنا وميقدرش يعرف أكتر من كده علشان كده كلمتك يا مولانا.

- والبيت ده فيه كام شقة؟

- البيت ده يا شيخنا بيت قديم، هو بيت صغير دورين مقفولين على بعض بجنينة صغيرة زي الفيلا كده.

- صاحب البيت ده مين؟ وبيشتغل إيه؟ وعنده كام عيل؟

- صاحب البيت ده مهندس يا مولانا، كان عايش بره مصر ولسه راجع من مفيش كام شهر، وعنده عيلين ولد وبنت.

- سنهم قد إيه؟

- الواد حوالي 16 سنة، والبنت عروسة كده بتاعة 12 سنة.

- طيب وإنت كلمتني أنا ليه يا عم عز؟

قبل أن يجيب عز قد أتى القهوجي ووضع له كوب الشاي وانصرف.

أمسك عز بكوب الشاي وأخذ منه رشفة صغيرة ثم قال:

- أول ما الشيخ الأخير ده جه وقال إن في حاجة تحت البيت وهو مش عارف إيه هي مجاش في دماغي غيرك يا مولانا، كنت متأكد إن إنت الوحيد اللي ممكن تحل القصة دي لأني مش أول مرة أتعامل معاك في حاجة زي كده، ولو مش متأكد من الناس دي أو الموضوع ده مكنتش كلمتك.

- تمام يا عم عز، طيب هما عاملين حسابهم إننا ممكن نروحلهم دلوقتي.

- طبعًا يا مولانا، أنا لم كلمتك وإنت قولتي إنك جاي أنا عرفت صاحب البيت وهو مستنينا.

- تمام يا عم عز اشرب شايك ونتحرك نروحلهم.

* * *

أعتقد أن ذلك المناخ هو الأروع، أنا عاشق لتلك الحالة من الطقس فهي تعتبر الأفضل لي على الإطلاق.

أحب أن أشم رائحة الشتاء وخصوصًا في ذلك الوقت بعد منتصف الليل.

أجلس أمام نافذة غرفتي أتناول بعض القهوة فتختلط رائحة القهوة برائحة المطر، وهكذا ينتهي يومي.

كانت تلك بعض الكلمات التي كتبها المهندس عماد، بينما كان يجلس بغرفته، فهو اعتاد أن يكتب أحداث يومه ويسجلها يومًا وراء يوم حتى أصبحت تلك عادته.

جلس أمام نافذة غرفته، وقبل أن ينتهي من تناول القهوة إذا بأحدهم يضرب جرس المنزل.

تحرك عماد متجهًا إلى منزله ليفتح الباب، ولكنه لم ينزعج أن يزوره أحد في ذلك الوقت على ما يبدو، إنه كان على استعداد لتلك الزيارة.

فتح عماد باب المنزل، وكان عم عز ومعه الشيخ نبيل.

رحب بهما عماد وأذن لهما بالدخول، وأغلق الباب ثم تقدمهما إلى غرفة الضيوف.

فكان المنزل من طابقين، الطابق العلوى كان لغرفة النوم، أما الطابق السفلي فكان به غرفة السفرة وغرفة المكتب وغرفة الصالون المخصصة لاستقبال الضيوف.

تقدم عماد أمام عز والشيخ نبيل إلى غرفة الصالون.

جلس الجميع ثم خرج عماد من غرفة متجهًا إلى المطبخ من أجل إعداد الشاي للضيوف بعد أن سألهما.

بعد أن انتهى عماد من إعداد الشاي توجه إلى الصالون وقدم الشاي إلى الضيوف، وقبل أن يمسك نبيل بكوب الشاي قد سأل عماد:

- خير يا أستاذ عماد ممكن تحكيلي إيه الحلم اللي شوفته؟

- أنا كنت بحلم إني واقف في البيت هنا وبحفر في الأرض وبيطلع منها ميَّه بس مش بكون لوحدي بيكون

في ناس معايا بس مش شايف ملامح وشهم، الأول كنت مستغرب الموضوع ده بس بعد كده اتفاجئت لما لقيت مراتي بتقولي إنها بتحلم بنفس الحلم، بس أنا اللي بكون بحفر وهي واقفة معايا، وإنها محلمتش بالحلم ده مرة واحدة لا ده أكتر من مرة، بعد كده الولاد نفسهم حلموا بنفس الحلم، بس أنا بحفر وهما كلهم واقفين ورايا.

ظل نبيل صامتًا للحظات بسيطة ثم قال:

- خير مفيش مشكلة، بس هو حضرتك في الحلم شوفت إنت بتحفر في أنهي أوضة؟

- أه شوفت طبعًا، بكون في المكتب جوه، حتى هما كمان حلموا بنفس الأوضة، كل تفاصيل الحلم متشابهة.

- تمام بس هو حضرتك كنت عايش في البيت زمان تقريبًا على كلام عم عز ليا؟

- أه بس أنا سافرت وأنا تقريبًا في سن عشرين سنة، ورجعت واتجوزت، وبعد كده سافرت أنا والمدام، ولسه راجعين من فترة قريبة بعد وفاة والدي.

- تمام بس حضرتك تقدر تفتكر زمان كنت بتحلم الحلم ده أو حاجة مشابهة لي ولا لا؟

- لا في الحقيقة مقدرش أفتكر.

- تمام مفيش مشكلة، هو تقريبًا مفيش حد معانا في البيت دلوقتي.

تبسم عماد ثم أجابه:

- أه فعلًا مفيش غيرنا.

- طيب ممكن ندخل المكتب؟

- تمام، اتفضل.

دخل عماد إلى غرفة المكتب ووراءه نبيل وعز.

وقف نبيل في غرفة المكتب وبدأ ينظر إلى أرجاء الغرفة، ثم نظر إلى عماد وتبسم، ثم بدأ يتمتم ببعض الحروف والكلمات غير المسموعة، ولكن حركة شفايفه أظهرت أنه يتحدث.

لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى حدث اهتزازة بسيطة في مصباح الإضاءة ومكتبة الغرفة.

شعر عماد معها ببعض القلق، ولكن نبيل نظر له وتبسم لكي يطمئنه، ثم استمر نبيل في تحريك شفايفه، ولكن هذه المرة كانت طريقة تحدث نبيل مختلفة، فكانت الكلمات متقطعة وكأنه يتحدث إلى شخص ما، وما أن انتهى حتى نظر لعماد وقال:

- في دفنية تحت الأوضة هنا على عمق 3 متر تقريبًا.

تبسم عماد ثم قال:

- يا شيخ نبيل التاريخ بيقول إن مكنش في إسكندرية أيام الفراعنة يبقى إزاي فيه آثار هنا؟

ضحك نبيل ثم قال:

- ومين قال آثار أصلًا يا باشمهندس، هو شرط كل المدفون آثار مش ممكن يكون حاجة تانية!

نظر له عماد في دهشة ومعه عز أيضًا ثم قال:

- حاجة تانية! حاجة تانية زي إيه؟

- مش كل دفينة لازم تكون آثار، مصر مر عليها أكتر من عصر في عهد المماليك مثلًا ممكن يكون حد فيهم دفن دهب تحت بيته أو مش شرط إنه دفنه، ممكن كان في سرداب سري للبيت ومعمول عليه سحر معين، ومع عامل الزمن والتربة بقى مدفون تحت الأرض.

- تعجب عماد في بداية الأمر، ثم قال:

- كلام منطقي في الحقيقة، بس هو إحنا هنعرف إزاي؟

- بص هو أنا مش عاوزك تقلق من كلامي، بس طالما حلمت بده فدي حاجة بتبلغك، والدوخة اللي بتيجي لحضرتك وإنت في المكتب هنا لوحدك وتشوف حلم

غريب وإنت صاحي، زي إنك حاولت زمان من مجموعة كتب ومحاولتك فشلت، بس هي منتهتش بالفشل بس.

تَسَمَّرَ عماد في موضعه ولم يحرك ساكنًا للرد على نبيل الذي أكمل قائلًا:

- هو طالما حضرتك حلمت بده، فده معناه إن إنت اللي لازم تطلعه من تحت البيت، وأكيد أنا هكون معاك، أنا مش عارف إيه المدفون تحت بالظبط، بس أنا متأكد إن في حاجة تحت، والموضوع ده لازم يفضل سر بنا إحنا التلاتة بس.

أجاب عز:

- أكيد طبعًا يا شيخنا ده من غير ما تقول، وأنا مفهم الأستاذ عماد ده من قبل ما أكلمك.

ثم نظر إلى عماد الذي قد أكد على كلامه ولكنه اكتفى بهز رأسه فقط.

- تمام وشوف يا أستاذ عماد لو حضرتك حابب تطلع الحاجة دي عم عز يعرف طريقي ويقدر يوصلي.

- تمام يا شيخ نبيل ده شيء أكيد.

انصرف عز ومعه نبيل، وجلس عماد أمام النافذة يفكر في الأمر، ولكنه ما زال مصدومًا من حديث نبيل معه، كيف علم بتلك القصة التي قد مر عليه فترة من الزمان.

***

استيقظ فهد في الصباح على صوت رنة هاتفه، كانت الساعة في ذلك الوقت تقارب على الثانية عشرة ظهرًا أمسك فهد هاتفه ونظر إليه طويلًا وكان يظهر على وجهه علامات التعجب.

فأجاب سريعًا:

- ألو، إنت بتستهبل يا أحمد، إنت كنت متنيل مختفي فين الفترة اللي فاتت دي كلها؟

- تمام إيه وزفت إيه يا أخي، إنت فين طيب؟

- أنا جايلك دلوقتي حالًا متتحركش من عندك هكسر باب الشقة لو مافتحتش.

- سلام.

نهض فهد من سريره مسرعًا، دخل الحمام وغسل وجهه ورأسه وخرج وارتدى الحذاء دون تغيير ملابسه، فقد خرج بملابس منزله متجهًا سريعًا إلى منزل أحمد.

بعض دقائق تقريبًا تصل إلى خمسة عشرة دقيقة وصل فهد إلى بيت أحمد وطرق الباب ففتح له أحمد.

احتضنه فهد ولكمه عدة لكمات متكررة في ظهره كانت بمثابة الاشتياق إليه.

- كنت مختفي فين؟ خلاص بقيت مجنون بتختفي كده مع نفسك ولا اعرف حاجة عنك. قالها فهد

- تبسم أحمد ثم قال:

- ادخل بس وهتعرف كل حاجة.

أغلق فهد الباب وراءه.

- واضح إن إنت غيرت حاجات كتير في البيت ده، إنت على كده كنت موجود هنا؟

- أه كنت موجود.

- طيب، وأكيد كنت بتحس بينا لما كنا بنيجي نخبط عليك.

- فعلًا كنت بحس.

- تصدق إنك بارد ولازم تضرب.

- اهدى بس وهتفهم كل حاجة، أنا آخر مرة قابلتك فيها على القهوة كنت متغير، المفروض إني كلمتك اليوم ده علشان ننزل، وكنت عاوز أكلمك في حاجة مهمة بس اللي حصل اليوم ده كان مشتتني جدًا.

- وإيه ده اللي حصل؟

- سلوى جاتلي هنا الصبح والغريب إن دي ماكنتش أول مرة يومها وأنا يعتبر ترددتها من عندي.

نزلت بالليل وقابلتك على القهوة ومسهرناش أصلًا، ورجعت البيت على طول لقيتها كانت هنا واتقابلنا على السلم وهي نازلة وأنا طالع، كانت عاوزة تطلع معايا تاني علشان نقعد نتكلم، فهمتها إن مفيش بنا أي كلام فقالتلي إنها عاوزة نرجع لبعض، سبتها وطلعت وكأني مسمعتهاش، بس مش هوصفلك طبعًا أنا لما قفلت باب الشقة كنت عامل إزاي.

المهم إني بعد يومين حابس نفسي في البيت هنا كنت هديت خلاص وبدأت أفكر بجد وبعقل.

- تفكر؟! تفكر في إيه؟ هو إنت عاوز ترجع لسلوى؟!

- مش هكدب عليك، أنا آه مش قادر أحب حد غيرها لحد دلوقتي، ويمكن مفيش حد قادر يملى مكانها بس أكيد مش ده اللي كنت بفكر فيه.

- اممممم.. أمال بتفكر في إيه؟

- أنا كنت بفكر في الورق ده وفي الأوضة.

- طيب الأوضة ومعروفة، مكتبة أبوك اللي كان فاقع مرارتنا بيها وبكتبه وإن محدش يدخلها، إنما الورق ده إيه؟

- اقرأ الورق وإنت تعرف.

أمسك فهد بالأوراق وبدأ بقراءة ما بها وبعد أن انتهى:

- أنا مش فاهم حاجة، إنت كده بقيت غني مثلًا ورثت خلاص طيب يا سيدي مبروك.

ضحك أحمد بشدة ثم قال:

- ورثت أه وبقيت غني ومش عاوز أعرفكم تاني، أكيد طبعًا مش بفكر في ده، كل اللي كان شغال بالي ليه البيت اللي أبويا بيتكلم عنه ده مقفول؟ وليه محدش بيفتحه؟ وإيه السر في إنه يفضل مخبي عليا طول الوقت ده، غير كمان الكتب الغريبة اللي لقيتها جوه

وفيه كتب قديمة ومش للعرب أصلًا ولا مكتوبة بالعربي!

حل الصمت فجأة على فهد الذي كان يحاول استيعاب كل ما يحدث حوله، ولكنه لم يفهم شيئًا فظل صامتًا لبعض الوقت ثم قال:

- واضح كده إنك جايبلنا بلوة جديدة، فأنت بقى تعملنا كوبيتين شاي ونقعد ونفكر براحة.

دخل أحمد وفهد إلى المطبخ وأعدا كوبين من الشاي، واتجها إلى مكتب والد أحمد السابق وجلسا يتناولان الشاي أثناء حديثهما إلى بعضهما.

* * *

كانت الساعة تقارب العاشرة في ذلك الوقت، وقد مر تقريبًا أكثر من عشرة أيام على لقاء عماد مع الشيخ نبيل.

وقف عماد إلى جانبه عز في مكتب بيته، وكان أمامها حفرة في منتصف الغرفة.

ثم قال عماد:

- بدأت أحفر فيها بالنهار علشان يبقى الموضوع طبيعي، محبتش نحفر بالليل علشان ميبقاش الصوت عالي ونزعج الجيران، وكمان علشان محدش يلاحظ حاجة ويبقى الوضع طبيعي.

- بس مش كبيرة الحفرة كده يا أستاذ عماد.

- والله يا عز هي دي المساحة اللي قالي الشيخ نبيل نحفرها، واللي تحت ده كله رملة فهيكون الحفر سهل.. هو قالك جاي إمتى؟

- هو إن شاء الله هيكون عندنا كمان ساعة تقريبًا.

- طيب تمام أوي.

* * *

في نفس الوقت كان فهد يجتمع مع أحمد في منزل أحمد، وبالتحديد في مكتب فوزي والد أحمد، وكان يظهر عليهما التشتت فكان كل منهما يجلس أمام الآخر

ويظهر عليه شروده وكأنهما يحاولان الوصول إلى شيءٍ ما.

لم يدم ذلك الصمت طويلًا حتى قطعه فهد حين قال:

- أنا مش فاهم أي حاجة إحنا بقلنا أسبوع بنقرأ في الكتب دي، وفي كتب كتير مش فاهمها وفيها حاجات غريبة.

ثم سكت قليلًا وعاد ليقول:

- أبوك ده كان غريب أوي يا أخي، غامض وهو عايش وهو ميت كمان.

نظر إليه أحمد دون أن يحرك ساكنًا، ثم نظر إلى كتابه مرةً أخرى وقال:

- الكتاب ده غير الكتب دي كلها، الكتاب ده غريب.

- غريب! غريب إزاي يعني؟ قالها فهد

نظر أحمد إلى فهد ثم بدأ بالقراءة دون أن يصدر صوتًا، ثم بدأ أحمد في رفع صوته تدريجيًا.

شعر أحمد فجأة بارتفاع درجة حرارة جسده، ولكنه لم يستطع التوقف وكأن شيئًا يحركه وهو لا يتحكم في ذاته.

انتهى أحمد من القراءة ونظر إلى فهد، وقبل أن يحرك ساكنه انطفأ نور الغرفة ولكنه عاد في لحظات، ومع عودة النور أغلق باب الغرفة وكأن شخصًا قد دفعه بقوة.

نظر فهد إلى أحمد في دهشة وتحرك نحو الباب محاولًا فتحه، ولكن الباب لا يفتح.

اهتزت أرضية الغرفة فجأة، واهتزت معها المصابيح وأثاث الغرفة، وظهر مع ذلك علامات الصدمة والخوف على أحمد وفهد ولكن المكان سريعًا ما هدأ.

نظر فهد إلى أحمد الذي تجمد في مكانه:

- سيب الكتاب اللي في إيدك ده وتعالى ساعدني نفتح الباب.

وضع أحمد الكتاب على نفس الرف الذي قد وجده عليه، وتحرك نحو فهد ولكنه قبل أن يصل إليه اهتزت الغرفة مرة أخرى، ولكن هذه المرة كانت الاهتزازات أقوى، وسقط أحمد وفهد على الأرض وسقطت معهما قطع أثاث الغرفة، وحتى مصباح الإنارة قد سقط من سقف الغرفة، ظلت تلك الاهتزازات ولم يستطع أحمد وفهد الوقوف على قدميهما من شدتها، حتى هدأت للحظات ثم عادت مرة أخرى، ولكن هذه المرة سقطت معها جميع كتب المكتبة على الأرض، عاد الكتاب الذي كان بيد أحمد فظلَّ مكانه، بل وخرج منه شعلة نار صغيرة بدأت في التهام أرفف المكتبة الخشبية.

وسرعان ما انتشرت النار بكل مكان، وانفتح باب الغرفة فجأة، نهض فهد وأحمد من الأرض وخرجا من الغرفة يجريان، ولكن الوضع قد هدأ فجأة والأغرب أن كل شيء عاد لما كان عليه قبل، وصلا إلى باب الشقة.

عاد فهد وأحمد ينظران إلى الغرفة وينظر كل منهما إلى الآخر، حتى سقطا على الأرض فجأة من شدة خوفهما مما يحدث.

* * *

ظل عماد جالسًا مع عز في غرفة المكتب إلى أن استمعا إلى جرس الباب، تحرك عماد من مكتبه ووصل إلى الباب وفتحه.

وصل نبيل في موعده وتقدم مع عماد إلى غرفة المكتب ملقيًا السلام على عز.

فنظر بطرف عينيه إلى الحفرة دون أن يطيل النظر، ثم قال:

- حلوة مساحة الحفرة دي، إحنا هنحفر اتنين متر كمان وبعد كده هنلقى باب هنفتحه وهننزل على سلم لحد تحت.

- أنا مش فاهم حاجة، هو إحنا مين وليه هننزل كلنا؟! قالها عماد

- إحنا أنا وإنت يا بشمهندس وعم عزت، وهننزل كلنا لأن العهد كان بنا كلنا ومينفعش حد يغدر بالتاني، قولتم إيه.

ظل الصمت للحظات وكأن كل منهما احتاجا لوقت كي يفكر، ثم قال عز:

- أنا معنديش مانع يا مولانا انزل طالما فيها خير.

نظر إليهما عماد ثم قال:

- وأنا كمان موافق.

- هننزل كلنا بس هتكون إنت أولنا يا بشمهندش لأن إنت صاحب البيت والعهد على اللي يخلف.

أجاب المهندس عماد وهو ينظر إليهما في دهشة.

- مفيش مشكلة في الكلام ده.

أمسك بالجروف الذي كان أمام الحفرة، واستمرَّ بالحفر ومن جانبه كان نبيل وعز يرفعان الرمال عن الأرض.

لم يمر أكثر من ساعة تقريبًا حتى شعر عماد بارتطام الجروف الذي يحفر به بشيء معدني حتى توقف، وأشار إلى نبيل الذي بدوره قد سحب الحبل والقفه التي يسحبون الرمال بها، وألقى بسلم حبلي ونزل إلى جانب عماد ورفع بعض الرمال البسيطة حتى وجد الباب المعدني.

كان الباب مربع الشكل مزخرف مساحته 60 سم * 60 سم يكفي لمرور شخص واحد منه، مغلق بقفل حديدي قد تآكل من الصدى، فقام نبيل بالطرق عليه مرتين فانكسر تمامًا فأخرجه بسهولة ولكنه قبل أن يفتح الباب همهم ببعض الكلمات غير المسموعة لعماد أو عز، ثم رجع للخلف خطوة بسيطة وطلب من عماد التقدم وفتح باب الدخول.

تقدم عماد وفتح الباب، فقام نبيل بربط الباب بحبل وأشار إلى عز بالانتظار وإمساك الحبل.

- ثم قال وهو يبتسم متقلقش يا عم عز هتحس بحرارة على جنبك وسخونية، متخافش ده أحد

خدامتي هيفضل معاك يحميك.

ثم سحب مصباح الجاز الذي كان قد طلب من عماد شرائه، ونزل على السلم أسفل الباب ويتقدمه عماد يحمل مصباحه بيده.

كان سلم صغير في الطول، أشعة الضوء التي سقطت عليه أظهره أنه سلم حجري، زُين بأحجار الجرانيت مكون من اثنين وعشرين سلمة، تنتهي بممر واسع ويشبه الحجرة وبها ثلاثة أبواب مغلقة، كانت كلها أبواب خشبية، وعلى جدران تلك الغرفة بعض النقوش والزخرفة التي أظهرت أن ذلك المكان لا يرجع لعصر بعيد وإنما لحقبة قريبة من الزمان.

وقف عماد في دهشة وهو ينظر حوله ثم التفت إلى نبيل:

- إيه المكان ده؟

فأجابه نبيل:

- ده كان سرداب لبيت قديم كان ساكنه رجل فارسي من فترة حوالي مائة سنة كده.

- وإنت عرفت ده منين؟ قالها عماد

فنظر له نبيل وهو يبتسم:

- أول ما وصلت للباب الحديد قرأت بعض الطلاسم، علشان أعرف إذا كان المكان عليه أي تحصين أو رصد ولا لأ، ولقيت المكان فعلًا معلهوش أي رصد أو تحصين بره، دخلت أنا وإنت ومعايا جزء من خدامتي وجزء تاني سبناه بره، اللي دخل معايا هنا المكان استجوبه عماد وعرفه قصة المكان ده.

ظل عماد ينظر في جميع أرجاء المكان وهو يظهر على وجهه علامات الدهشة، إلى أن اتجه إلى الغرفة التي كان بابها مفتوحًا على عكس باقي الغرف.

دخل عماد من باب الغرفة ومن خلفه نبيل.

الغرفة كانت تتكون من مكتبة، ومكتب، وأريكة، وبعض قطع الأثاث البسيطة التي كانت قد تهالكت مع مرور الزمن.

تجوَّل عماد في الغرفة والتفت إلى نبيل فجأة، والذي كان يقف أمام المكتب وينظر لبعض الأوراق وقال:

- فيه هنا دهب كتير.

لم ينظر له نبيل.

فأكمل عماد:

- الدهب ده بقى بتاعنا دلوقتي، أنا هجمع منه كمية أطلع بيها والباقي نبقى نخده بعدين.

لم يلتفت له نبيل وظلَّ في مكانه وهو يمسك بالأوراق التي قد وجدها على المكتب، ويهمهم ببعض الهمهمات كعادته، ولكنه نظر إلى عماد فجأة وقال:

- إحنا لازم نطلع من هنا حالًا، إحنا وقعنا في فخ.

اتجه نبيل ناحية عماد وجذبه من يده وأمسك بالأوراق باليد الأخرى، وخرج مسرعًا نحو السلم وهو يهمهم ويقول لعماد:

- محدش من خدامتي بيرد عليا، فيه فخ هنا.

وصلا نبيل وعماد إلى السلم، وتقدم نبيل في الصعود ومن خلفه عماد.

كان الباب لا يزال مفتوحًا فخرج نبيل منه ثم أُغلق الباب فجأة على عماد قبل أن يخرج.

فنظر نبيل فوقه وهو يتحدث بلوم:

- سيبت الباب ليه يا عز عماد لسه جوه، لكنه فوجئ بأن عز ليس موجودًا بالخارج.

حاول نبيل أن يفتح الباب ولكنه فشل في ذلك، فظلَّ يحاول التحدث إلى خدامته ولكن لم يجبه أحد منهم.

فنظر إلى تلك الأوراق التي بيده وغادر المكان على الفور.

* * *

مرت ساعات الليل سريعًا وأشرقت الشمس، واستفاق أحمد وفهد من نومهما، وليجد كل منهما مُلقى إلى جانب الآخر على سرير أحمد، وداخل غرفته وكأن ما مر بهما كان حلمًا، كل ما يتذكره أحمد أنهما سقطا أمام باب غرفة المكتب بعد الخروج منها، ولكن لا يعلم أحد كيف وصل كل منهما إلى السرير.

ظلَّ فهد وأحمد ينظران حولهما في صمت وشرود، حتى قطع ذلك الصمت أحمد:

- معقول يكون كل ده كان حلم.

- حلم، حلم إزاي وأنا كنت معاك في الحلم بنفس التفاصيل ونفس كل حاجة، وبعدين إحنا مدخلناش نام علشان نحلم اللي حصل ده كان حقيقة، حقيقة أنا بقيت مرعوب منها.

- فعلًا اللي حصل حقيقة، بس أنا عكسك أنا مش مرعوب أنا عاوز أكمل وأفهم، تعالى نروح المكتب.

- مكتب! مكتب تاني بعد اللي حصل ده.

- تعالى بس، ميبقاش قلبك ضعيف. قالها أحمد وهو ينظر إلى فهد ويبتسم.

خرج أحمد وفهد من الغرفة واتجاها نحو المكتب والذي كان بابه مغلقًا.

فتح أحمد باب المكتب ونظر إليه من الخارج قبل الدخول، فوجد كل شيء على طبيعته كما كان، فدخل ومن خلفه فهد الذي اتجه إلى أحد كراسي المكتب على عكس أحمد الذي اتجه إلى نفس الرف ونفس الكتاب وأمسك به دون أن يحدث أي شيء وظلَّ يقلب في صفحاته حتى قال:

- الكتاب مكتوب بلغة غريبة، ترتيب صفحاته وأرقامه مكتوبة بالعربي إنما نص الكتاب نفسه مش عربي، اللغة دي غريبة عليّ وفي أجزاء كتير من الكتاب ممسوحة وفي صفحات كمان ناقصة مش موجودة، بص كده.

قام فهد من مكانه ونظر إلى الكتاب بيد أحمد ثم قال:

- فعلًا دي أرقام عربي وفيه صفحات مقطوعة وفيه كتابة كانت هنا بس الحبر طار.

- لغة الكتاب ده لو اترجمت هنفهم.

- قصة بيت غريب منعرفش عنه حاجة، لمكتب أبوك الله يرحمه، المكان غريب ومحدش فاهمه، ودلوقتي كتاب أغرب وإنت شوف بعينك اللي حصل، أنا رأيي تنسى الموضوع ده ومتفكرش فيه.

- بص أنا فاهم كل اللي إنت بتقوله ده، بس أنا بقى عندي فضول أوي لحل كل الألغاز دي، أنا مبقاش عندي حاجة في حياتي عايش ليها، أنا فشلت كتير وتقريبًا في كل حاجة، بس مش عاوز أفشل في دي كمان، أنا لازم أفهم إيه قصة الكتاب ده وإيه علاقة كل المواضيع دي ببعض، وليه هو كان عاوزني أقفل البيت ومفتحوش زي ما جدي وصى، وليه طلب مني أقرأ كتب المكتبة دي وأفهمها، إيه علاقة الكتب بالبيت

وأكترهم الكتاب ده، كتب تاريخ وترجمة وعالم سفلي وفي وسطهم كتاب مش مفهوم، أنا عارف يا فهد إن الموضوع بقى يخوِّف جدًا بس أنا مبقتش خايف قد ما بقيت عاوز أعرف وأفهم.

نظر له فهد وهو يخبط كفَّيه ببعضهما البعض.

- وأنا قدري في القصة دي إني صاحبك، أنا معاك وربنا يستر.

- إن شاء الله خير، المهم اللي جاي بقى هنعمل فيه إيه.

- أنا عندي اقتراح.

- وساكت ليه طيب إيه هو؟

- أنا أعرف دكتور جامعي في كلية آداب متخصص في اللغات الشرقية القديمة والكتاب ده قريب من اللغة دي، ممكن الدكتور ده يساعدنا.

- هي فكرة كويسة، بس تفتكر هيوافق إنه يساعدنا؟

- بص هو دكتور كبير في السن ومحترم جدًا وأعتقد مش هيرفض إنه يساعدنا، وأهو أدينا بنحاول.

- معاك حق أدينا بنحاول.

* * *

بعد مرور يومين تقريبًا التقيا أحمد وفهد أمام جامعة الإسكندرية وبالتحديد أمام باب كلية الآداب، واتجها إلى المبنى البحري وصعدا إلى الدور الثاني بالتحديد قسم اللغات الشرقية.

ممر طويل وبه مجموعة من أبواب المكاتب المغلقة، وقبل نهاية ذلك الممر وقف أحمد خلف فهد الذي طرق باب المكتب:

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، اتفضل حضرتك، أقدر أساعدك في حاجة؟ قالها ذلك الشخص الجالس على المكتب.

فأجاب فهد:

- كنت بسأل على دكتور عبدالعزيز منصور ألاقيه فين؟ أنا واحد من تلاميذه وكنت محتاج مساعدته.

- للأسف والله دكتور عبدالعزيز توفي من فترة، أنا دكتور مالك أحمد منصور ابن أخو دكتور عبدالعزيز لو تحب إني أساعدك أنا معنديش أي مشكلة.

نظر فهد إلى أحمد وتبادلا كل منهما النظر للآخر وكأنهما في حيرة على أن يعرضا عليه الأمر أم لا.

لاحظ مالك الكتاب الذي بيد أحمد فقرر أن يقطع ذلك الصمت:

- أعتقد إنكم كنتم جايين لدكتور عبدالعزيز بسبب الكتاب اللي في إيدك ده، تسمحلي أشوفه؟

نظر إليه أحمد وتبسم ثم قال:

- أكيد طبعًا اتفضل.

أمسك مالك بالكتاب وهو ينظر إليه بدهشة، ويمسح بيده عليه، ثم قال مُحدثًا نفسه بصوت مرتفع بعض

الشيء:

- مخطوطة الفارسي! رفع مالك نظره إلى أحمد وأكمل:

- ممكن أعرف إنت جبت الكتاب ده منين؟!

نظر إليه أحمد وهو يبتسم:

- مش هقدر أقولك أي حاجة غير لما أعرف الكتاب ده بيتكلم عن إيه، وإيه قصته محتاج أعرف كل حاجة عنه.

- كل اللي أقدر أقوله دلوقتي إن وأنا بحضّر رسالة الدكتوراه في فرنسا اتعرفت على أستاذ في جامعة ليل اسمه مستر مشيل مهتم بالدراسات الشرقية وخصوصًا المصريات القديمة ومصر في عصور متقدمة، قالي إن والده مستر فرنك جه مصر فترة بعد الاحتلال الفرنسي وعاش فيها أكتر من عشرين سنة، وخلال دراسته للعلوم المصرية لقي كتاب باسم مخطوطة الفارسي، الكتاب ده بيتكلم عن عراب فارسي عاش في مصر وكان مهتم بالتاريخ الفرعوني،

وكان بيعمل دراسات على أسرة فرعونية حكمت مصر في فترة معينة وليهم مقبرة من أكبر المقابر اللي ممكن يكون اكتشافها في أي عصر اكتشاف تاريخي، الفارسي كتب كل حاجة تخص الأسرة والمقبرة قبل ما يموت في كتاب سمي مخطوطة الفارسي، مستر فرانك قدر يوصل للكتاب ده بس مقدرش يكمل بعد الفارسي ومقدرش يحتفظ بالكتاب لظروف مختلفة وقتها مقدرتش أعرفها، لو ده الكتاب الأصلي يبقى إنت تحت إيدك كنز كبير.

أجاب فهد مسرعًا:

- إحنا نقدر نتأكد إزاي إن الكتاب ده الأصلي؟

- ممكن تسبلي الكتاب ونتواصل وأنا هترجمه وأفيدك وبصراحة أكيد هستفيد من الكتاب، مع إني لسه عاوز أعرف لاقيت الكتاب ده فين؟

نظر له أحمد ثم قال:

- والدي الله يرحمه عنده مكتبة كبيرة، وده من ضمن الكتب اللي فيها.

- أوعدك إني أفهم بس الكتاب بيحكي عن إيه وهشرح كل حاجة.

انتهى اللقاء بين الثلاثة على أن يجتمعوا بعد يومين ويقص كل منهم ما استطاع الوصول إليه على الآخر، وأن يظل كل شيء سرًا بينهم.

انصرف أحمد وفهد وعلى وجه أحمد الحماس الشديد لمعرفة أمر الكتاب.

* * *

جلس نبيل في شقته وبالتحديد في غرفة مكتبه، وهو يضع الأوراق التي قد حصل عليها من داخل منزل عماد أمامه ينظر إليها في تمعن شديد واهتمام، ويسجل في ورقة أخرى بعض الملاحظات.

* * *

في شقة أحمد وبالتحديد في غرفة المكتب، جلس أحمد وفهد وكل منهما ينظر إلى ساعة يده.

كانت الساعة تقارب السابعة مساءً في ذلك الوقت، وعلى ما يبدو أنهما في انتظار أحد ما.

رن جرس الشقة فنهض أحمد من مكانه مسرعًا نحو الباب.

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام، حضرتك عاوز مين؟

- مش دي شقة أستاذ فواز، هو موجود؟

- الله يرحمه، اتفضل حضرتك، وهو حضرتك كنت تعرفه؟

- الله يرحمك يا فواز، أنا وفواز صحاب من زمان أوي، الفترة الأخيرة دي أنا كنت بعيد بس كنا بنسأل على بعض كل فين وفين.

- الله يرحمه هو اتوفى من 3 شهور، متعرفتش بحضرتك.

- أنا نبيل، الشيخ نبيل.

- اتشرفت بحضرتك.

لم يجب نبيل وظل في صمت لبعض الوقت، ثم نظر إلى أحمد وقبل أن يتحدث وجد فهد يخرج من غرفة المكتب بعدما استشعر بغياب أحمد، فنظر إليه نبيل ثم نظر إلى أحمد دون أن يتحدث.

لاحظ أحمد ذلك فتبسم لـ"نبيل" وقال:

- ده فهد صديقي عمري وعارف كل حاجة عني، بس هو حضرتك، مش صغير في السن شوية عن والدي الله يرحمه علشان تكونوا أصدقاء؟

تبسّم نبيل ونظر إلى المكتب ثم أعاد نظره إلى أحمد:

- والدك وأخويا الكبير كانوا أصدقاء من الطفولة، ومن وأنا صغير بشوف والدك مع أخويا دايمًا لحد ما

حصلت حادثة غريبة واتوفى أخويا الكبير، فضل والدك يسأل عليّ باستمرار ومع الوقت بقينا أصدقاء، دخلت أوضة المكتب بعد وفاته طبعًا، مكنش بيحب حد يخشها غيره مع إنه كان عارف إنه بعد ما يموت إنت هتدخلها وتقريبًا عمل حساب اليوم ده، العيلة عندكم غريبة يا أحمد وأسرارها كتيرة ومحيرة.

- أنا مش فاهم حضرتك بتتكلم على إيه؟ قالها أحمد

- أنا هقولك كل حاجة ممكن تريحك وتسعدك، أنا الفترة اللي فاتت خسرت كتير ومش عارف إيه اللي ممكن يحصل الأيام دي، عيلتك يا أحمد تملك بيت في الصعيد من زمن بعيد أوي، البيت ده مقفول من أيام جدك الكبير حسن، والمنطقة دي من البلد اتسمت على اسمه وهو أول حد سكنها، جدك قفل البيت ده ووصى محدش يفتحه، من بعد موته ومع الزمن البيت ده حصل عليه مشاكل كتير وده اللي عمل خلاف بين أحفاد حسن وابتدت العلية تبقى عائلات

والدك كان مهتم يعرف ليه البيت ده مقفول، وإيه سر وصية جدك إنه ميتفتحش، وفضل يسمع كل يوم قصة وحكاوي عن البيت ده، ومش عارف يصدق إيه ولا يكذب إيه، بيت مسكون وبيت ملعون وحواديت وأساطير غريبة، والدك طبعًا كان مهووس كتب وقراءة، في يوم قرأ بحث بيتكلم عن كتاب لمستكشف أو عراب فارسي بيلف بلاد كتير جه مصر وعاش في إسكندرية وليه قصة مع بيت مهجور في الصعيد، الكتاب ده يعتبر مذكرات الفارسي بس عن البيت ده، فضل فواز يدور على الكتاب ده أكتر من سنتين لحد ما وصل ليه، بس الكتاب للأسف مكنش كامل وكان في أجزاء صعبة تترجم.

قبل أن يكمل نبيل حديثه رن جرس الشقة مرة أخرى فتحرك فهد نحو الباب.

- مساء الخير، آسف على التأخير. قالها مالك

- لا تأخير ولا حاجة يا أستاذ مالك اتفضل ادخل.

دخل مالك إلى الصالة ولاحظ وجود نبيل فلم يلتقي به في لقائه مع أحمد وفهد.

- إزيك يا أحمد، واضح إني جتلك في وقت مش مناسب وعندك ضيف.

تبسَّم نبيل وأحمد أيضًا ثم قال أحمد:

- لا الوقت مناسب جدًا ومفيش حد غريب، ده أستاذ نبيل صديقي لولدي الله يرحمه وتقريبًا كلامنا مش هيبقى غريب عليه.

تعجب نبيل وأيضًا مالك، فكان ذلك اللقاء الأول لهما ولا يعرف كلاهما الآخر.

- أنا عارف إنكم متعرفوش بعض، بس كل واحد فينا عارف جزء من القصة، وأكيد كلها أجزاء ممكن تكمل بعضها، إحنا متجمعين هنا دلوقتي إحنا الأربعة علشان نتكلم في نفس الموضوع اللي بقى بنا سر وعهد علينا.

تبسَّم نبيل وأكمل حديث أحمد قائلًا:

- والعهد على اللي يخون.

فابتسم له أحمد ثم بدأ يقص على مالك ونبيل كل ما يعرفه عن الكتاب حتى انتهى من حديثه.

فأكمل من بعده مالك:

- الكتاب بيتكلم عن فترة تواجد مؤلفه في مصر وبالتحديد في إسكندرية، وإن هو إزاي وصل للصعيد كده، وإن الفترة اللي قضاها هنا مكنش مكتفي بقدر إن هو جاي بيستكشف وبيدرس بل كان بيقوم ببعض التجارة، وده اللي وصله للصعيد، ومن هناك قدر يوصل أو يتعرف على البيت وملاكه، وكان فيه بينهم صداقة وبيحكي إنهم مكنوش يعرفوا إيه حكاية البيت بس محافظين على عهد جدهم وقفلين البيت، الكتاب ناقص صفحات يمكن عدد الصفحات دي تقريبًا سبع صفحات بس مهين جدًا لأن الكاتب بيحكي إنه دخل البيت مع 3 أفراد من العيلة الملكة للبيت بس الكتاب مش كامل.

انتهى مالك من حديثه وقبل أن يجيب أحمد قال نبيل:

- المقبرة المدفونة هو ده سر دخول الكاتب للبيت، مقبرة لأسرة فرعونية مش محدد هيا في عصر إيه أو سنة كام، بس المقبرة مقبرة مهمة لملك قوي، المقبرة اللي اتعمل عليها نوع من أنواع الرصد كان غريب جدًا في شدة قوته، المقبرة بيحميها الجن وده اللي بيصعب الوصول ليها جدًا، إنك تعمل رصد سحر على مقبرة ويكون جن بيحميها ممكن يكون شيء عادي لأن أي حد لو ليه صلة بعالم الجن هيقدر يتعامل معاه، بس المقبرة دي بتتحمي من ملك للجن متمرد على عهودهم وده اللي صعب الموضوع، بس مخلهوش مستحيل، الكاتب لما قدر يدخل للبيت مع أهل البيت ده قدروا يوصلوا للمقبرة، بس الطمع والخلاف بينهم هو اللي ضيع كل حاجة، الأربعة دخلوا البيت وكان في اتنين منهم ليهم علاقة بعالم الجن، واحد من ورثة البيت والتاني كان الكاتب، صاحب البيت الأول لما حاول يوصل للمقبرة وفشل عمل عهد مع حارسها وده

اللي زود الموضوع صعوبة، العهد ده كان تعزيمه قدر تخفي البيت ده عن عالم الجن ومفيش جن يقدر يدخله ومحدش يقدر يفكها غير أحفاد صاحب البيت من بعض وفاته بس كان ليها شرط إن الحفيد ده يكون ترتيبه فردي وسط الأحفاد ومن نسل الابن الثالث لصاحب البيت، الوريث اللي دخل مع الكاتب كان بينطبق عليه كل الكلام ده بس الطمع ضيعهم، الكاتب بيقول إن حصل خلاف بينهم وفجأة اختفى كل حاجة من المكان، وكان فيه ضلمة في كل مكان، وإنه لقي نفسه مع شروق شمس تاني يوم مرمي على الطريق ومش عارف ولا فاكر حصل إيه غير إن البيت قبل الضلمة، والجميع اختفى، في نفس اليوم مات اتنين من اللي كانوا في البيت كل وحد فيهم مات في بيته وهو قاعد في مندرة البيت، أجسامهم كلها محروقة ما عدا وشهم، الرابع وده كان الحفيد فضل عايش بس يقال إنه فقد عقله خصوصًا إن الاتنين اللي ماتوا الموتة الغريبة دي والده وابن عم والده واللي كانوا معاه في البيت.

رجع "زكري" إسكندرية وكتب كل اللي حصل في كتاب، وكتب إزاي دخل البيت والتعزيم اللي اتقالت وكل الأحداث اللي حصلت جوه في سبع ورقات مختلفين عن الكتاب، وكان فصل لوحدهم وسماهم (خدعة ابن الجن)، واختفى زكري بعد كده وفضل الكتاب موجود من غير السبع ورقات دول.

- وحضرتك عارف كل الحاجات دي منين؟! قالها فهد

- من السبع ورقات لأني قدرت أوصلهم، كان موجودين في سرداب مدفون تحت بيت، وكان فيه فخ هناك خسرت اتنين أصدقائي اختفوا وإحنا في السرداب ده وخسرت كل خدامتي من الجن علشان كده جيت لأحمد وجبتله الورق.

أخرج نبيل أوراق بنية اللون ومبتتة في بعضها بخيط عريض باهت اللون يظهر عليها القدم.

دار بينهم حوارًا بعد ذلك حول ما حدث مع نبيل وما أن انتهى الحوار حتى تم الاتفاق بينهم على الاجتماع

مع بعضهم يوميًا في شقة نبيل وتحديد خطواتهم المقبلة.

* * *

التقى أحمد وفهد بأحد الكافيهات في انتظار الدكتور مالك من أجل الذهاب لمقابلة الشيخ نبيل في منزله، لم يمر الكثير من الوقت حتى وصل مالك.

جلس مالك معهما وتناول القهوة ومن بعدها اتجهوا إلى بيت نبيل.

عند وصولهم لم تكن الأمور هادئة، فكان هناك العديد من سيارات الشرطة وسيارة إسعاف وسيارة مطافئ.

وقف الجميع يستمع إلى ما يحدث.

سمع الجيران إلى صوت صراخ متجه من شقة جار لهم، اتجه الجميع إلى تلك الشقة محاولين الدخول لهم، وبعد أن قام أحدهم بكسر باب تلك الشقة كانت المفاجأة.

شخص جالس على أريكة اشتعلت النار بجسده حتى احترق، ولكن تلك النار لم تشتعل بشيء آخر حتى تلك الأريكة التي كان يجلس عليها.

- حضرتك اللي نعرفه عن نبيل إنه ليه علاقة بالجن والسحر والشعوذة والعياذ بالله، وإن ماشيه كله كده، نهايته يا باشا الله يرحمه ويغفرله.

كانت تلك الجملة من أحد الجيران متحدثًا لأحد ضباط الشرطة.

ولكنها سقطت على أذان أصدقائنا فهد وأحمد ومالك فعلموا أن الشخص القادمين للقائه قد فارق الحياة، فقرروا الانصراف من المكان والعودة إلى شقة أحمد.

* * *

مر أسبوع على ذلك الحادث الغريب الذي قد وقع بمنزل نبيل وراح نبيل ضحيته دون الوصول إلى سبب معلوم، ولكن ما كان واضحًا أن هناك عاملًا خفيًا في ذلك الأمر وأعتقد أنه عامل ذات قوة من نوع ما.

بعد مرور ذلك الوقت كان أحمد يجتمع بفهد ومالك كل يوم يبحثون في الأوراق التي قد تركها لهم نبيل قبل موته وإلى جانبها الكتاب، كانت تلك الأوراق ذات طابع خاص ومختلف عن باقي الكتاب.

المقبرة ترجع إلى ملك من ملوك مصر الفرعونية اشتهر بحبه للسحر والسحرة وكاهنة المعبد، حكم إلى جانب والده واشتهر بالفروسية وقوة البنيان، وكان له الحكم بعد والده ولكنه مات قبل أن يتسلم عرش البلاد من والده وسمي بابن الإله.

"مخائيل مخائيل سمسائيل الهوام يحاقوف سمسائيل الهوام يحاقوف ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بهاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد.. الوحا الوحا.. العجل العجل.. الساعة الساعة".

* * *

اجتمع أحمد وفهد ومالك في منزل أحمد.

- بعد ما درست الموضوع من كل الاتجاهات أنا شايف إننا ندخل البيت، الورق كله معانا وكل حاجة في إيدينا، الاكتشاف ده هينقل حياتنا كلنا لحتة تانية خالص. قالها مالك

- أنا فعلًا أخدت قرار إني هدخل البيت ده وأحاول أوصل لحل لكل اللي حصل الفترة اللي فاتت دي، معتقدش إن عندي هدف تاني في حياتي غير ده.

اختلف فهد مع أحمد ومالك في ذلك الأمر، وكان يظن أن ذلك القرار متسرع وعليهما دراسة الأمر أكثر من ذلك قبل اتخاذ قرار، ولكنه في النهاية انصاع إلى رغبة أحمد بعد العديد من المحاولات.

* * *

منزل الحاج سعفان

منزل مكون من طابقين، الطابق الأرضي والطابق الأول العلوى، لا أستطيع أن أذكر ملامح الطابق الأول، ولكن ما أعرفه في المنزل هو الطابق الأرضي.

مدخل المنزل فخم مغطى بالجرانيت، ويسبق باب المنزل سبع سلمات، وما أن دخلت من باب المنزل حتى تجد بابين آخرين، الأول للمندرة وهي منفصلة عن باقي البيت، والثاني للطابق الأرضي.

المندرة تتكون من غرفة كبيرة ذات طابع خاص قسمت نصفين، الأول وضع به طاقم صالون مزخرف مكون من أريكة وطاولة و4 كراسي، والجانب الآخر فرش بالطابع العربي وهي القاعدة العربي، وفي نصفها مقعد الحاج وسعفان وإلى جانبه تضع الشيشة، ودخل المندرة حمام خاص بها منفصل عن باقي المنزل.

يعد الحاج سعفان من أشهر التجار في منطقة بني حسن بالمنيا، والتي سميت بذلك الاسم نسبة لجده الحاج حسن الأكبر أو من سكن ذلك المكان.

دخل أحمد المندرة وإلى جانبه فهد ومالك ويسبقهم الحاج سعفان وابنه محمود مرحبان بهم.

جلس الجميع، فنظر الحاج سعفان إلى أحد رجاله فتحرك نحو المنزل بالداخل ولم يمر إلا بعض الدقائق حتى عاد ذلك الرجل إلى المندرة ومن خلفه رجلان آخران يحملان صواني الطعام.

- اتفضلوا الأكل يا جماعة، أنا عارف إنكم جايين من مشوار طويل وأكيد ماكلتوش حاجة. قالها الحاج سعفان

تبسَّم الجميع، ومن ثم بدأوا في تناول الطعام ومن بعده الشاي.

وبعد أن انتهى الجميع، جلس الحاج سعفان في مقعده المفضل وقام أحد رجاله بإحضار الشيشة إليه، فأمسك بمبسم الشيشة بيده وأشار إلى رجاله بالانصراف وإغلاق الباب من خلفهم، فلم يتبقى بالغرفة غير الحاج سعفان وابنه محمود وأحمد وأصدقائه، أو كما أطلق عليهم الحاج سعفان ضيوف حفيده، والذي لم يهتم حتى بمعرفة أسمائهم.

وضع الحاج سعفان مبسم الشيشة بفمه وأخذ منها بعد الأنفاس، ثم نظر إلى أحمد وقال بلهجته الصعيدية:

- كلمتني يا أحمد علشان البيت اللي هنا، كنت بتقولي إنك عاوز تبيعه.

أخرج الحاج سعفان بعض الدخان من فمه ثم أكمل.

- بعد ما ترتاح إنت وضيوفك نروح نشوف البيت، وأنا مشتري منك بالسعر اللي تقول عليه، ده بيت الغالي وإنت ابن المحترم الله يرحمهم.

تبسَّم أحمد ثم قال:

- في الحقيقة يا جدي البيت ده غالي عليّ أنا كمان ومش هو ده المقصود بالبيع.

تغير مع كلمات أحمد وجه الحاج سعفان، فأخرج مبسم الشيشة من فمه ونظر إلى ابنه محمود وقال:

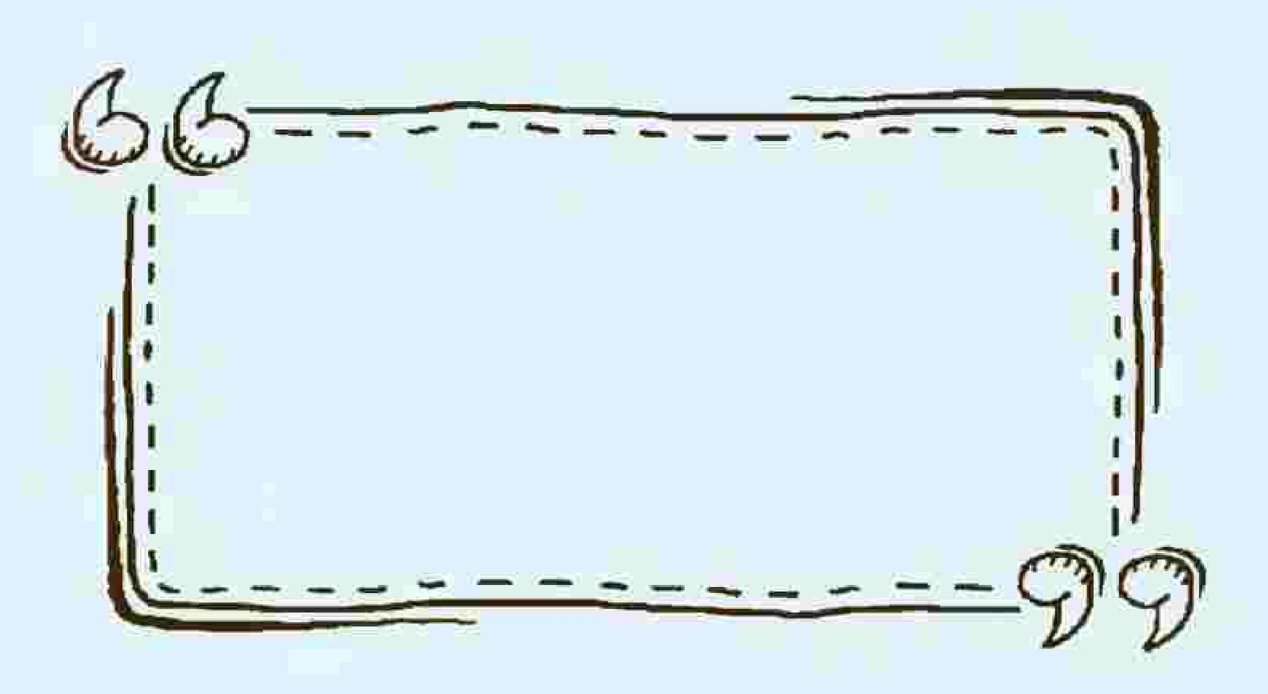
- جوم إنت يا محمود وصل الضيوف للأوضة اللي هيرتاحوا فيها وسيبني مع أحمد شوية.

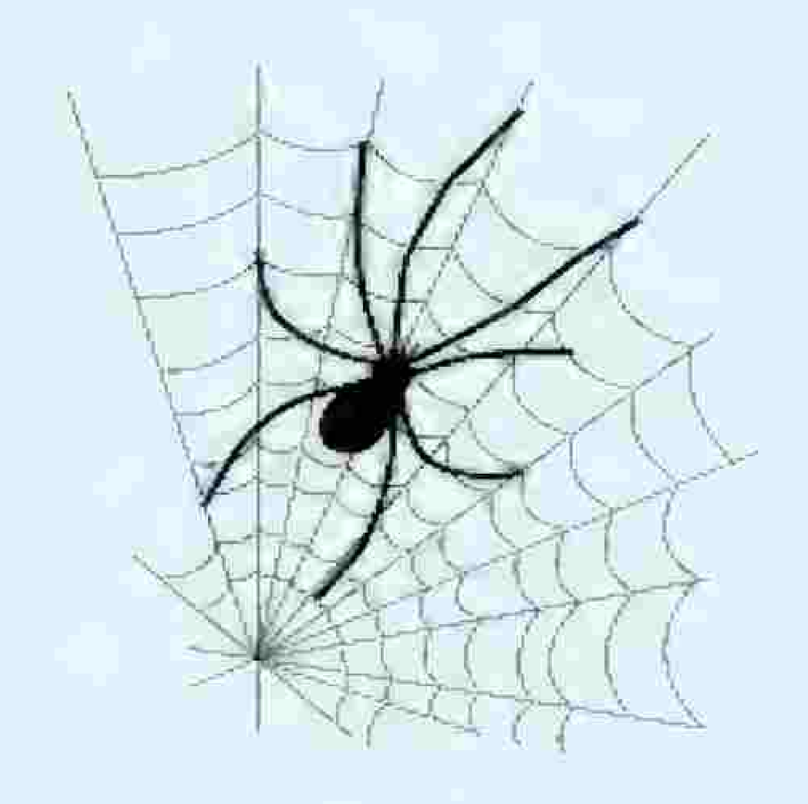
نهض محمود من مقعده مسرعًا، فنظر فهد ومالك إلى أحمد قبل أن يبتسم لهما فيخرجان وراء محمود.

نظر الحج سعفان إلى أحمد وقال:

- جدك حسن أول من سكن الأرض دي، ميزتنا في الصعيد إننا حفظين النسب والاسم حتى ولو للجد الألف.

٧ ٧ ٧





سنة 1850

في إحدى القرى بصعيد مصر، وتحديدًا بمنطقة كفر حسن بالمنيا، في ذلك الوقت لم يكن المكان كبيرًا، أستطيع تذكر المنطقة بالضبط، فالمكان كان عبارة عن أرض فارغة مساحة خضراء كبيرة وثلاثة بيوت، كان بيوت من طابق واحد ومن الطين اللين، وكان كل بيت منهم يخص عائلة بمفردها، وتملك كل عائلة منهم قطعة من الأرض تقوم بزراعتها إلى جانب تربية المواشي والأغنام، والثلاث عائلات ترجع إلى أصل

واحد وهو الحاج حسن القطان، أتى إلى هنا منذ زمن وهو من قسم هذه الأرض بالتساوي بين أبنائه، وإلى أن أصبح أبناؤه ثلاث عائلات مختلفة ولكنها ذات نفس الأصل والنسب ولكن تلاشى ذلك مع الوقت.

سميت هذه المنطقة بكفر حسن نسبة إلى الحاج حسن القطان الذي كان بيته هو الأقرب إلى الجبل وعلى بعد مسافة ليست بالكبيرة من منزل أبنائه.

البيت كان من طابق واحد، وهو ثلاث غرف وصالة ومندرة كبيرة لاستقبال الضيوف، ولكنها كانت منفصلة عن البيت، وكانت تقع على يسار البيت، أما على يمين البيت فكانت حظيرة صغيرة لتربية المواشي.

وعندما كبر أبناء الحاج حسن سلم كل واحد منهم قطعة من الأرض قام ببناء بيت بها وتزوجوا، كان المكان قريبًا من سوق أبو قنطار، فكان كل منهم يعمل بالتجارة سواء كانت تجارة الماشية أو المحاصيل الزراعية، أما الحاج حسن فكان من أشهر تجار الماشية في ذلك الوقت، وكان له صديق من المقربين وجمع

بينهما العديد من الأعمال، ولكنه اختفى فجأة، وبعد ذلك الاختفاء بأسابيع أصيب الحاج حسن بمرض مفاجئ وتوفي بعد يومين من شدة المرض.

قبل وفاة الحاج حسن بسنتين تقريبًا قسم الأرض على أبنائه الذين بنى كل منهم بيتًا وأسرة لنفسه، وبدأت المنطقة تعمر بالقرب منهم ببعض العمال والبيوت الصغيرة، ولكنه على مسافة منهم وقد اعتبرهم الجميع كبار هذه المنطقة.

كان الابن الأكبر للحاج حسن هو عامر، والذي امتلك الأرض الأقرب للبحيرة العزبة المتفرعة من النيل، هناك من يقول عليها قناة، وهناك من يقول ترعة، أما سكان المنطقة فقد أطلقوا عليها بحيرة حسن نسبة للكفر وللحاج حسن القطان.

فكان عامر هو الأكبر بين أبناء الحاج حسن، وتجوز وبنى بيته بهذه الأرض قبل خمس سنوات من أن يهبه والده هذه الأرض، فكان هو المتحكم بالماء الذي يمر

إلى جميع الأراضي من حوله ولكنه يحترم والده وبشدة.

تزوج عامر وأنجب ثلاثة ذكور في أول خمس أعوام، أما الأخ الثاني فكان الأكثر قوة بين إخوته وهو الأخ الأوسط وهو حامد الذي كان يعمل بتجارة المحاصيل الزراعية والفاكهة، حيث كان يزرع جزءًا من أرضه بالفاكهة، ويعمل معه بعض العمال بالأجر، وكان على خلاف دائم مع عامر حول مسألة البحيرة وري الأرض، فكان عامر يرفض أن يحفر قناة صغيرة تسمح بمرور المياه إلى باقي الأراضي، إلى أن اقترح عليه سالم أن تكون تلك القناة ذات بوابة تفتح وتغلق فتمر المياه إلى الجميع وفي نفس الوقت لا يعلو منسوب المياه فتغرق أرض عامر، وقد وافق الجميع على فكرة سالم، كان هو الأخ الأصغر لهما والأكثر علمًا، وكان سالم صاحب الأرض الأبعد والأكثر قربًا من منزل القطان.

* * *

قبل وفاة الحاج حسن بأيام كان قد جمع أبناءه وأوصاهم باحترام بعضهم والحفاظ على العهد والأخوة والدم بينهم، وقد أعطى أوراق البيت لابنه سالم، وأوصى بأن يظل البيت مغلقًا من بعده ولا يسكنه أحد.

توفي الحاج حسن القطان وظل الجميع يحفظ العهد بينهم ولم يتغير شيء، ومرت الأيام وتحول الأبناء ثلاث عائلات كبيرة تحكم كفر حسن عائلة (الحاج سالم)، وكان الأكثر حبًا وكرمًا بين الجميع، وعائلة (الحاج حامد) وكانت الأكثر ملكية للأراضي الزراعية، أما الثالثة فكانت عائلة (الحاج عامر) وكانت الأكثر مالًا ونفوذًا وقوة وتعمل بالتجارة.

- دي كده شجرة العيلة، وإزاي كفر حسن بقت كفر حسن، وإزاي بقينا تلات عائلات بس كلهم ولاد حسن، والحواسنة في الصعيد معروفين يا ولدي وليهم هيبة.

أعتقد إنك محتاج ترتاح وتفكر كويس، أسيبك تروح لضيوفك دلوقتي بس حاجة أخيرة يا ولدي خليك

عارف محدش هيقبل إنك تبيع البيت ده.

تقدم الحاج سعفان وخرج من المندرة ومن خلفه أحمد فأوصله الحاج سعفان إلى غرفة أصدقائه وصعدا إلى الطابق العلوي.

* * *

جلس أحمد مع أصدقائه يقص عليهما الحوار الذي دار بينه وبين جده سعفان من أجل التفكير في حل مناسب.

* * *

طرق محمود باب الغرفة

- السلام عليكم، والدي بعتني أبلغك إن البيت الحاج عبدالرحيم جاهز لو حابب تنقل هناك.

- تمام يا محمود تعبتك معايا معلش.

- لا مفيش تعب ولا حاجة ننقل هناك بس ويا ريت لو نقعد لوحدينا.

- خير يا محمود فيه حاجة؟

- لا مفيش أنا عارف أنهي بيت اللي كنت بتتكلم عليه زي ما أنا عارف إن والدي مقالكش الحكاية كاملة.

* * *

أصبح أبناء حسن عائلة كبيرة لها شأنها على الرغم من أي خلاف قد يحدث بين الأخوة، إلا أن الجميع يحترم وصية الأب ويحافظ على رباط الرحمة بينهم.

مرت الأيام وبدا الكبر على الأخوة الثلاثة، فكان كل منهم يجلس بمنزله ويقوم أبناؤهم بالعمل والتجارة مكانهم، ويباشرون هم الجميع من مكانه، وكان الثلاث عائلات تقيم المعازم والذبائح في الموالد والمواسم من حين إلى آخر.

* * *

في سوق أبو قنطار وفوق إحدى الأبنية الكبيرة وضعت لافتة خشبية كتب عليها (وكالة الحاج عامر وأبناؤه للتجارة) إلى داخل تلك الوكالة رصت أقفاص

الفاكهة والخضراوات، وكانت تشغل الجانب الأيسر من الوكالة، أما على الجانب الأيمن فقد كانت هناك حظيرة صغيرة بها بعض الماشية التي يتم بيعها في الوكالة، أما في آخر الوكالة غرفة صغيرة وثلاث درجات لسلم أمام أحد الأبواب كان ذلك الباب هو مكتب المعلم فتحي أكبر أبناء الحاج صابر وأشدهم قسوة، أما الابن الآخر فكان شاهين وهو المسؤول عن الزراعة وتربية الماشية، أما فتحي فكان المسؤول عن التجار.

داخل تلك الغرفة تجدها غرفة صغيرة مكونة من ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار، وبها نافذة صغيرة تظهر الوكالة من خلفها إلى جانب دولاب خشبي به بعض الملفات والأوراق إلى جانب ذلك الدولاب تجد مكتبًا صغيرًا عرضه متر تقريبًا، خلف ذلك المكتب يجلس شخص ما يرتدي عباءة بنية اللون إلى جانب عمامة بيضاء وإلى كتفه يضع لاسة تقارب لون العباءة نفسها.

كان ذلك الشخص ذي بشرة سمراء ليست لدرجة كبيرة، ويزين وجهه لحيته السوداء، مما يعطي لوجهه الكثير من الوقار والهيبة، يمسك بالشيشة في يده

ويضع مبسم الشيشة في فمه، لا يخرجه من فمه إلا لإخراج الدخان.

دخل إليه شاب كان يظهر عليه أنه قد تجاوز الثلاثين من عمره، ولكن كان يتسم بالشياكة، فكان يرتدي جزمة سوداء داكنة اللون، تلمع في مظهرها إلى جانب سروال أسود وقميص أبيض كلاسيكي، وحمالة صدر إلى جانب ببيون، كان مظهره يوحي منذ إطلالته الأولى أنه ليس من سكان هذه المنطقة.

- صباح الخير معلم.

قالها بلغة عربية مضحكة، أظهرت بعد ذلك أنه ليس من سكان مصر أيضًا.

التفت إليه فتحي الذي كان يجلس على مكتبه، ونظر له نظرة وكأنه يتفحص مَن الذي يقف أمامه.

- صباح الخير يا أخويا اتفضل أوامرك.

- أنا سألت كتير معلم الكل دالوني عليك، قالولي إنك كبير البلد هنا،

اغتر فتحي في مقعده ونزل إليه وهو يضع الشيشة في فمه.

- اتفضل أساعدك إزاي؟

- معلم أنا تاجر من إسكندرية، من سوق الأحد، جاي عاوز أعيش هنا، وأشتري بضاعة منكم، وأبيعها هناك في سوق الأحد.

- أيوه يا خواجة بس مسألة إنك تعيش هنا دي صعبة شوية.

- وأنا علشان كده جتلك معلم.

- طيب يا خواجة نشرب الشاي، وتاخد واجبك ويحلها المولى من عنده بعد كده، ألا هو إنت اسمك إيه يا خواجة؟

- زكري، اسمي زكري معلم.

طلب فتحي من أحد عمّال الوكالة الشاي، ولم يمر الكثير من الوقت حتى أتى ذلك العامل بالشاي، جلس فتحي يتناول الشاي ولم يفارق مبسم الشيشة يده، ودار بينه وبين زكري العديد من الحوارات والتي كان يتخللها الضحك الصاخب وصوت كركرة الشيشة.

بعد أن أنهى فتحي وزكري حديثهما، نهضا من جلستهما واتجها الاثنان ناحية البلد والمنزل، كان الاثنان يتحدثان في طريقهما عن البلد، والبيوت، وعن قصص الأرض والزمان، وبعض المناطق الأثرية القريبة من المكان التي كان يفكر زكري بزيارتها، انتهى حديث فتحي وزكري أمام باب منزل عبدالفتاح.

كان عبدالفتاح هو الابن الأكبر للحاج حامد ويعمل في التجارة والزراعة أيضًا، ولكنه ليس كفتحي في معارفه وعلاقاته وحجم تجارته.

طرق فتحي الباب، وبعد لحظات فتح الباب، وظهر خلف الباب شاب، فكان ذلك الشاب يظهر عليه أنه في السابعة عشرة من عمره، وهو أحمد عبدالفتاح الابن

الأكبر لعبدالفتاح، والذي يعمل إلى جانب والده بالزراعة.

- سلام عليكم، إزيك ياض يا أحمد. قالها فتحي مبتسمًا

- الحمد لله يا عم فتحي.

- أبوك هنا؟

- موجود في المندرة جوه.

كان زكري ينظر إلى أحمد في تعجب ودهشة شديدتين، كان يتغير معها ملامح وجهه وكأنه يرى شيئًا لا أحد غيره يراه، وأما أن انتبه أحمد إليه حتى بادله تلك النظرات، دون أن يلاحظ فتحي شيئًا من ذلك الأمر.

ذهب أحمد إلى أبيه ليخبره أن عمه فتحي بالخارج ومعه ضيف، ومن ثم عاد ليخبرهما بالدخول.

لكن نظرات أحمد وزكري لم تتبدل لبعضهما البعض.

- اتفضل يا خواجة ادخل. قالها فتحي

فنظر له زكري وتبسم، ثم قال:

- لا أقدر على الدخول قبل أن يسمح لي أحمد.

تبسم أحمد ثم قال:

- تفضل.

تبسم زكري وتمتم ببعض الكلمات دون أن يسمعه أحد وكأنه يتحدث إلى نفسه بتحريك شفايفه فقط، ثم تابع فتحي بالدخول الذي كان يبتسم ولم يفهم شيئًا مما دار على باب المنزل بين أحمد وزكري.

في غرفة متوسطة الحجم، وضع بها أريكتين في جانبين من الغرفة، إلى جانب مقعدين صغيرين وفي منتصفها طاولة مستطيلة الشكل، كبيرة الحجم نوعًا ما، كان عبدالفتاح يجلس على أحد المقعدين وممسكًا بمبسم الشيشة بيده، دخل إليه فتحي وزكري

استقبلهما استقبالًا حميمًا جدًا، ورحب بهما وسمح لهما بالجلوس ثم قال:

- إزيك يا معلم فتحي بقالك كتير منورتنيش في بيتي.

- مفيش والله يا ابن عمي كل الموضوع بس شوية مشاغل، ما إنت في السوق وعارف بقى.

- ربنا يعينك يا معلم، معرفتنيش بالضيف يعني.

- ده الخواجة زكري من إسكندرية وجاي هنا في شغل.

- أهلًا وسهلًا بيك يا خواجة، اعذروني بقى مفيش كلام إلا بعد الأكل.

خلينا نتكلم في المفيد الأول، بعد كده نشوف موضوع الأكل. قالها فتحي فأجابه عبدالفتاح:

- لا يا كبير ده إنتم في بيتي، ولا إنت عاوز تكسفنا قدام الضيف، والله ما يحصل.

نهض عبدالفتاح من مجلسه متجهًا إلى باب المندرة، ونادى على ابنه أحمد، وطلب منه أن يتجه إلى المطبخ، ويطلب من حريم المنزل إعداد الطعام، وعمل حساب عمه فتحي وضيفهما في الطعام.

وتبسم عبدالفتاح حين أخبره ابنه أحمد أنه بالفعل قام بذلك الأمر، والذي داعبه قائلًا:

- اتعلمنا منك يا حاج إننا لازم نكرم الضيف.

مرّ بعض الوقت، حتى دخل أحمد إلى والده، وأخبره بأنّ الغداء أصبح جاهزًا، فأمره والده بإدخال الطعام إلى المندرة، وعلى الفور لبّى أحمد طلب والده منه، وأدخل الغداء وارتصّ الأربعة حول طبلية الطعام يتناولون الطعام ويتشاورون ويضحكون، وأعرب زكري عن إعجابه الشديد بالطعام، وطعمه اللذيذ، وبعد انتهائهم من تناول الطعام طلب عبدالفتاح الشاي له وللضيوف.

- خير يا معلم فتحي. قالها عبدالفتاح وهو يضع مبسم الشيشة بفمه

- الخواجة جاي من إسكندرية وهياخد مني شغل وهيبيعه في إسكندرية عند..... قاطعه زكري قائلًا:

- بعد إذنك معلم فتحي أنا أفهم معلم عبدالفتاح أنا محتاج إيه بالظبط.

نظر له فتحي مبتسمًا فأكمل زكري حديثه قائلًا:

- معلم عبدالفتاح أنا من إسكندرية، بس حقيقة أنا مش من سكان مصر، أنا عايش بس هنا من فترة، كنت جيت مع أهلي مصر، أنا في الحقيقة من بغداد والصح إني فارسي الأصل زي ما بتقولوا.

كان أحمد يجلس وينظر إلى زكري مبتسمًا، فنظر له زكري وتبسم وأكمل:

- أنا جيت مصر هنا، واشتغلت بالتجارة، أنا هاخد من المعلم فتحي فاكهة وخضار ومواشي، هبعتها لصديقي

وشريكي هاشم، علشان نبعها في إسكندرية، في سوق الأحد هناك، وكمان في حاجات هنبعها، بس مش هنا هنسافر في البحر، تتباع في الشام ونجيب تجارة من هناك.

نظر له عبدالفتاح نظرة المفكر ثم قال:

- تمام يا خواجة، بس إنت علشان تشتري بيت هنا لازم تشتري أرض البيت ده، وإحنا هنا مش بنبيع الأرض للغريب هنا.... قاطعه فتحي قائلًا:

- وأنا جتلك علشان كده يا عبده، إنت هنا تملك كام بيت وفيهم بيوت مقفولة، إنت ممكن تأجر فيهم بيت للخواجة يعيش فيه بس، وأنا موافق مفيش عندي مشكلة. قالها زكري.

- تمام يا خواجة إنت تدينا يومين نرتب الأمور ونجهز البيت. قالها عبدالفتاح فأجاب فتحي:

- تمام واليومين دول إنت ضيفي يا خواجة.

- شكرًا معلم أنا هسافر إسكندرية أرتب شغلي هناك وهرجع تاني عليك.

تبسم فتحي متفهمًا، ثم دار حوار آخر بين الثلاثي، وكان أحمد يدخل إلى والده من وقت إلى آخر يسأله إن كانوا في حاجة إلى شيء ما، أو ينقصهم شيء.

انتهى الحديث بينهم، حيث استأذن زكري في الانصراف، من أجل السفر للإسكندرية وكان الوقت أوشك على صلاة العشاء، وانصرف معه فتحي عائدًا إلى منزله.

ما إن انصرف الجميع حتى دخل أحمد إلى والده:

- مش شايف يا حاج إن زكري ده غامض كده ومش مفهوم.

- عادي خواجة، أكيد مش هيكون زينا.

- مش القصد بس في سر وراه.

- لا سر ولا حاجة ده جاي في شغل.

- مش عارف يا حاج بس ده وراه سر كبير وبكرة تتأكد.

أنهى أحمد الحديث إلى والده وانصرف إلى غرفته، التي دخلها وتأكد من إقفال بابها بإحكام، وأشعل لمبة الجاز الموجودة بداخلها وتحدث بصوت رفيع.

- مين زكري ده يا شومان.

كانت الغرفة خالية، ولكن أجابه صوت ما، ليس معلوم المصدر.

- لا أعلم لم أستطع أنا وأي من خدمتك أن نستجوب قرينه، ولكن رأيت بنفسك الكثير من الخدم له أمام باب المنزل، ولكنه أمرهم بعدم الدخول معه إلى البيت وهو كان يعلم أيضًا أنك تملك خدمًا.

- فعلًا كان عارف وعلشان كده طلب إذني إنه يدخل البيت، بس هو إنت إزاي مقدرتش تستجوب قرينه؟

- كان فيه نوع من أنواع التشويش بيحصل كل ما نحاول نقرب من قرينه.

- تفتكر دي طلاسم يا شومان إحنا منعرفهاش؟

- ممكن تكون كده أنا قولتلك إحنا مش بنعرف كل حاجة.

- عمومًا كل حاجة هتظهر الأيام اللي جاية.

قالها أحمد الذي بدأ بالتجول داخل الغرفة، وهو يبحث بين بعض الكتب، ثم أمسك بعض الأوراق متجهًا بها إلى السرير وهو ينظر إليها ويبحث بها عن شيء ما.

* * *

في مكان ما في محطة السكة الحديد، حيث كان يقف فتحي إلى جانب زكري على المحطة، ويدور الحديث بينهما في العديد من الأمور، حتى وصل القطار إلى المحطة فقال فتحي مازحًا:

- والله أنا ما عارف يا خواجة بتركب البتاع ده إزاي؟ أنا عمري ما سافر بيه أبدًا.

ضحك زكري ثم قال:

- لازم تجربه معلم ده بيوفر وقت كتير، هحكيلك المرة اللي جاية لما آجي معلم.

- تمام يا خواجة.

- بلاش خواجة دي معلم خليها زكري بس.

- تمام يا زكري أشوفك المرة اللي جاية على خير.

- سلام معلم.

- سلام يا خواجة، قصدي سلام يا زكري.

* * *

- صباح الخير يا أبي. قالها أحمد

- صباح الخير يا ابني.

وقف أحمد مترددًا أمام أبيه ثم قال:

- ممكن أعرف يا حاج هتعمل إيه مع الخواجة؟

أجابه عبدالفتاح:

- هأجرله البيت الشرقي يقعد فيه، ده بيت مساحته كويسة، وبعيد عن العائلات هنا، وأهو يبقى قريب من الطريق ومحطة القطر.

هزَّ أحمد رأسه إجابةً بالموافقة على كلام أبيه ثم قال:

- أنا رايح أتابع العمال في الأرض يا حاج، وهرجع على الغداء بإذن الله.

- متأخرش هستناك لما أرجع من السوق.

* * *

في الإسكندرية وفي منطقة السوق الأكبر بمنطقة كرموز، كان يقف زكري في أحد المحلات الكبيرة مستندًا إلى مكتبه ويكتب بعض الأوراق لبعض عمَّاله،

الذين يستعدون لأخذ البضائع والسفر بها إلى بلاد الشام.

وبعد أن أنهى كل الورق والكتابات، سلَّمها إلى أحد رجاله الذين يثق بهم، وأمره بتسليم هذه الأوراق إلى السيد يامن بيده وأن يحفظها جيدًا.

* * *

في بلاد الشام وبعد أن انتهت الرحلة، ووصل إياد أحد عمال زكري ورئيسهم إلى سوق حلب، حيث قد أوصل البضائع من فاكهة وماشية إلى السيد يامن.

في سوق حلب وفي إحدى الوكالات والمحالات الكبرى، كان يجلس يامن على مكتبه ويتابع بعض الأوراق والأعمال والحسابات، كان السيد يامن في عامه الأربعين ولكن كانت تظهر عليه قوة تعطيه هيبة كبيرة بين أفراد الوكالة من عمال وعتالين.

دخل إليه إياد وبدأ الرجال بإنزال البضاعة من العربات التي كانت في استقبال إياد في الميناء، ونقلت

البضائع إلى وكالة السيد يامن.

أعطى إياد السيد يامن الأوراق المرسلة له من قبل السيد زكري، وبعدها أمر يامن أحد عماله بأخذ إياد ومَن معه من عمال إلى أحد المنازل التابعة له، من أجل أن يستريحوا ويبيتوا ليلتهم بذلك المنزل وفي الصباح يعد لهم السيد يامن ما كان قد طلبه السيد زكري من التمر والأعشاب وبعض العطارة من الشام.

ذهب إياد ومن معه إلى المنزل الذي قد أعده لهم السيد يامن، عندما أرسل إليه السيد زكري يخبره بموعد وصول البضائع إليه، وبعد مرور ساعة بالتقريب كان السيد يامن قد أرسل لهم الطعام كنوع من أنواع كرم الضيافة، مع أحد رجاله وبعد أن تناول الرجال الطعام تجولوا بشوارع المدينة، ومن ثم عادوا إلى البيت من

أجل النوم.

مرّت ساعات الليل سريعًا، وفي سرعة ما أشرقت الشمس واستيقظ إياد ومن معه من رجال ونزلوا إلى سوق حلب، فكان المنزل الذي أعده لهم السيد يامن قريبًا جدًا من السوق، ولم تكن أيضًا هذه الرحلة الأولى لإياد إلى بلاد الشام، فقد جاء مع سيده زكري العديد من المرات قبل أن يبدأ هو بالمجيء بمفرده مع رجال وبضائع سيده، فكان السيد زكري يثق بإياد جدًا وكذلك يامن أيضًا.

أنهى إياد الجولة هو ومن معه من عمال بعد شراء بعض الهداية والعطور، واتجه إلى وكالة السيد يامن وانطلق من هناك إلى الميناء من أجل العودة من جديد إلى الإسكندرية، محملين بما معهم من بضائع للسيد زكري وبعض الأموال والرسائل التي سلّمها السيد يامن إلى إياد.

* * *

داخل وكالة عائلة عامر كان فتحي يجلس على مكتبه ويضع مبسم الشيشة في فمه كعادته، لا يخرجها إلا

لخروج الدخان.

- إزيك معلم. قالها زكري وهو واقف مبتسم أمام فتحي

- فتبسم له فتحي وقام من جلسته يُحييه ثم طلب منه الجلوس.

- إيه أخبار البيت معلم فتحي جاهز ولا لسه شوية؟

- الحاج عبدالفتاح جهزلك بيت كويس، هو شرق البلد قريب من الطريق ويوصلك للسكة الحديد كمان، بس خلي بالك وإنت قاعد هنا إنت غريب عن البلد وأي حاجة منك أو عليك تخصنا إحنا.

- تمام معلم أنا أكيد فاهم حاجة زي دي.

- ألا هما مين الرجالة دي يا زكري يا أخويا، وإيه العربيات اللي معاهم دي كمان؟

تبسم زكري ثم قال:

- دول رجالة بتشتغل معايا في التجارة جبتهم معايا علشان أبعت معاهم البضاعة معلم.

- بضاعة! بضاعة إيه دي يا أخويا؟!

- ما أنا لسه هقولك معلم أنا محتاج بضاعة وهنتفق عليها، بس الأول في هدية ليك إنت والحاج عبدالفتاح، ممكن تقبلها.

- هدية! قالها فتحي بعد أن ظهر على وجهه علامات التعجب

- دي حاجة بسيطة معلم، ده تمر وشوية عطارة من حلب، جابتهم رجالتي في رحلتهم الأخيرة هناك، ما أنا ببيع وأشتري مع تاجر هناك كنت أعرفه من زمان.

- هديتك مقبولة، بس مكنش ليه لازمة التعب ده يا زكري، على العموم إحنا نطلع على البيت عندي دلوقتي، تتغدى إنت والرجالة دي، وبعدين تستلم بيتك من عبدالفتاح وبكرة نجهز البضاعة للرجالة.

نهض فتحي من مجلسه واتجه إلى خارج الوكالة، ومعه زكري، ركب فتحي عربته الخاصة، أو كما يطلق عليها (الكارتة)، وإلى جانبه زكري والذي أشار إلى الرجال أن تتبعه ومعهم العربات.

كان رجال زكري ستة رجال شداد البنيان، على رأسهم إياد كبير عمال زكري، ومعهم ثلاث عربات تجرها الأحصنة وكل عربة على هيئة صندوق كبير من الخشب، تتسع لوضع البضائع والصناديق، يحملون معهم بعض السيوف والغدارات من أجل الدفاع عن سيدهم وعن تجارته.

عندما وصل فتحي إلى منزله وأمر أحد خدمه بإعداد المندرة لاستقبال الضيوف، ولم تمر دقيقة حتى خرج إليه من باب جانبي للبيت وأشار له أنها خالية.

كان بيت فتحي يتكون من ثلاث طوابق، إلى جانب حديقة صغيرة، وكانت المندرة بالطابق السفلي تطل على هذه الحديقة، وجعل فتحي للبيت بابًا جانبيًا من أجل دخول وخروج الغرباء، فتدخل منه للمندرة،

وتخرج منه إلى خارج البيت، لا يعارض هذا حركة حريم بيته، وكان يحيط بالبيت من الخارج سور يحمي حرمة البيت كله، وباب المندرة الخارجي مقابل لباب البيت الجانبي.

دخل فتحي وزكري ومعهما الرجال إلى داخل البيت بعد أن أشار فتحي لرجاله بربط عربات السيد زكري إلى جانب سور البيت، مع الاعتناء بالخيول.

لم يمر الكثير من الوقت حتى دخل إلى المندرة اثنان من رجال فتحي يحملان صواني الطعام، وتم وضعها أمام الرجال، وكان فتحي وزكري يجلسان إلى جانب بعضهما على طاولة منفصلة، وباقي الرجال يجلسون على طاولة أخرى.

وبعد انتهاء الجميع من تناول الطعام أمر فتحي رجاله برفع أواني الطعام الفارغة، وإعداد الشاي، وأثناء تناول الشاي أخبر فتحي زكري أنهما سيتجهان بمفردهما إلى منزل الحاج عبدالفتاح، ورجاله سوف ينتظرون ويستريحون بالمندرة، حتى يعود إليهم بعد

أن يستلم البيت، وبعد إنهاء الشاي خرج فتحي وزكري إلى بيت الحاج عبدالفتاح، وبقي الرجال بعد أن أخبر فتحي أحد رجاله بأن يظل بالقرب من الرجال، يلبي لهم طلباتهم إن نقصهم شيء أو احتاجوا إليه.

انتهى السيد زكري من استلام البيت من الحاج عبدالفتاح، كان البيت مفروشًا كما أوصى الحاج فتحي بذلك.

البيت متوسط الحجم يتكون من ثلاث غرف متوسطة، غرفة النوم، وغرفة أخرى تحتوي على سرير ودولاب، كانت غرفة نوم إضافية، إلى جانب حمام ومطبخ، وإلى الخارج تجد صالة واسعة الحجم، تحتوي على أريكتين و4 كراسي خشبية ذات مقاعد ومساند من القطن، وسلم طوبي للوصول إلى سطح المنزل، أما الغرفة الثالثة كانت بالقرب من باب المنزل وهي غرفة الضيوف والملقبة بالمندرة، وكانت تحتوي على أريكتين على جانبي الغرفة ويتوسطها كرسي وأمامه طاولة مستطيلة الشكل.

* * *

- مساء الخير.

- أعتقد أنها المرة الأولى التي نتحدث بها إلى بعضنا البعض.

- نعم، كنت أقصد ما فهمته تمامًا نتحدث إلى بعضنا.

- سوف أجيب على كل أسألتك، ولكن أعرفك بنفسي أولًا، أنا زكري.

- ولكن مَن زكري؟ وما الاسم الذي بعد زكري؟

- لا لا.. لا تتسرع بالحكم، سوف نتحدث وتعرف مَن أنا، ومن أين أصلي، وما هو نسبي، وإلى أي أرض تنتمي زراعتي.

الاسم زكري، أما اسم الأب فهو عابد أما والداتي من إيران أو ما يسمى بلاد فارس سابقًا، لا أتذكر مدينتي، ولكنني أتذكر أن أبي كان عديد الترحال بين مدن بلادي سابقًا.

أبي كان عابد أبو عبيد القرموزاني، أحد أكبر تجار وسادة بلادي, كان يعمل في تجارة الأعشاب ويسافر إلى العديد من المدن والبلاد المجاورة لنا من أجل العمل، وفي يوم ما قد قرار والدي السفر بنا إلى مدينة القصور البيضاء، نعم أتذكر ذلك اليوم جيدًا كنت وقتها في الثانية عشرة من عمري ولكنني لم أنسَ ذلك اليوم، كنت مع أبي بالسوق في مقابلة أحد التجار الذي اتفق معه والدي بأن يستقدم له بعض الأعشاب والتمر من بلاد الجنوب الغربي لنا، لم أكن أفهم وقتها عن أي بلاد يتحدثان، ولكنني أدركت المعنى أين ذلك.

كانت هذه التجارة بينهما هي الأولى في المعاملة، ولكن ما ظهر وقتها أنها لم تكن الأخيرة.

طلب وقتها ذلك السيد، والذي كان يلقب بالسيد عتمان الفرشوتي، العديد من الأعشاب وإلى جانبها ألف ورقة من التمر اليمني، وأيضًا طلب شراء الجمال التي سوف تأتي إلينا بكل هذه البضائع، ووافق أبي على الفور، وبدأ بالتجهيز من أجل السفر إلى بلاد الجنوب من أجل إتمام الصفقة مع من يعرفهم من التجار.

وقد حدث ذلك بالفعل، قد أعد والدي المال والرجال من أجل السفر، واتفق مع السيد عتمان على العودة بعد شهرين ومعه البضائع والجمال أيضًا.

لا تتعجب من لغتي التي أتحدث بها إليك الآن كوني فارسي، فهذا لا يستدعي أنني لا أتحدث العربية، ستعرف كل شيء في موعده.

كثير ما كان ترحال أبي وتنقلنا من مكان إلى آخر غريبًا بالنسبة إليَّ، ولكنني لم أكن أسأل عن أسباب ذلك الترحال والتنقل بين المدن.

لن أطل عليكم في ذلك الأمر.

مرَّت أيام رحلة أبي بين استيقاظي في الصباح والذهاب إلى وكالة السيد عتمان الذي أوصاه أبي بنا خلال رحلته، كان الوضع بينهما أنه اتفاق شراكة في العمل، فكان ذهابي إلى الوكالة صباحًا بمثابة الذهاب إلى عمل والدي على أن يعود، كنت أكبر أبناء أبي وكان لي ثلاثة أخوة، أخوان يصغراني سنًّا.

وكان السيد عتمان قريبًا من قصر الحاكم والبلاط حينذاك، فكان له العديد من العلاقات والسيادة في تلك المدينة.

سمعت حديث أحد الرجال ذات يوم يقول إنه من عائلة حاكم البلاد ولكنني لست على يقين بذلك.

مرّت الأيّام واهتم حقًا السيد عتمان بعائلتي حتى عاد أبي إلينا وكنّا على أفضل حال.

ولكن سرعان ما تتبدل الأحداث سريعًا، وينقلب الحال من حال إلى حال.

لا أستطيع نسيان ذلك اليوم، أعتقد أنه من الأيّام التي لا تُمحى من الذاكرة.

كان المطر شديدًا في ذلك اليوم، لم يتوقف، ومع صغر عقلي في تلك الأيام كنت أشعر أن البلاد سوف تغرق تمامًا، لم يتوقف المطر في ذلك اليوم حتى وقت متأخر من الليل، كنت في غرفتي في ذلك الوقت،

استيقظت فجأة على صوت الرعد في السماء، كان الصوت شديدًا حقًا في ذلك الوقت.

استيقظت في فاجعة لم تحدث لي من قبل، وخرجت من غرفتي مسرعًا إلى غرفة والدي من شدة خوفي في ذلك الوقت، ولكنني توقفت قبل أن أترك الباب بعد سماع صوت أبي، كانت جملة واحدة التي سمعتها وتوقف الكون عن الحركة من حولي، سمعته يقول بعد أن اشتد الحديث بينهما، قالها بصوت كان يحمل الكثير من الخوف والجدية أيضًا:

- علينا أن نغادر البلاد في أسرع وقت، لم يعد لنا عيش هنا وإن لم نغادر سوف تُباد عائلتنا.

توقف الكون من حولي حقًا ظللت متوقفًا في مكاني لبعض اللحظات ثم عدت إلى غرفتي، توقفت كل الأصوات من حولي ولم أعد أسمع أي صوت حتى صوت الرعد الذي اختفى، لم أعد أسمعه رغم أنه لم يتوقف، ظلَّ عقلي شاردًا في ذلك اليوم ولم يتوقف عن التفكير حتى غلبني النعاس.

في الصباح استيقظت من نومي، كان الوقت يقارب على الظهر، وقد بدأت أشعة الشمس في الانتشار، كنت في حيرة من أمري، ولكن لم أرد أن يعلم أبي أنني قد سمعت حديثه مع أمي في المساء.

استيقظت ونزلت من غرفتي وجدت والدي يجلس في غرفة المعيشة على كرسيه المفضل له، كان شاردًا في فكره، ولكنه حاول أن يخفي ذلك حين رآني:

- صباح الخير يا والدي. قلتها فانتبه لي وابتسم ابتسامة خفيفة في محاولة لإخفاء ما به من شرود، ولكنه لم ينجح في ذلك.

سألني إلى أين ذاهب وأخبرته بأنني ذاهب إلى عملي الذي قد اعتدت عليه أثناء سفره مع السيد عثمان.

ظلّ صامتًا لبعض الوقت، ولكنه أجاب بعد ذلك بأنني لن أذهب إلى أي مكان وأنه يجب علينا الاستعداد، سنغادر في المساء البلاد.

(وهيب)

- اسمي وهيب، أنتمي إلى أسرة فقيرة جدًا، أتممت دراستي حتى عامي السادس عشر، ولكنني انقطعت عن الدراسة بسبب سوء الأحوال المادية لدى أسرتي وقررت أن أبحث عن عمل من أجل كسب المال.

كنت أجيد القراءة والكتابة، كما أنني كنت بارعًا بالحساب فقررت أن أتجه إلى سوق البلدة من أجل البحث عن عمل في أحد محال السادة هناك.

أنا من الشام وبالتحديد من حلب، أبي يعمل مزارعًا في أراضي الغير بالأجر اليومي، الذي بالكاد يجعلنا نعبر اليوم، فهو يكفي لقوت اليوم الواحد.

ذهبت صباحًا إلى السوق من أجل البحث عن عمل مناسب، فأنا أعتبر في بلدتي على درجة متوسطة من التعليم، كان ينقصني فقط أن أكمل تعليمي العالي.

ظللت طوال اليوم أمر وأبحث في المحال والوكالات، ولكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه، كان المتوفر من

العمل فقط العمل بالمخازن كـ"شيال"، كل مهمتي أفرغ حمولة السيارة وأعبئ الأخرى، وبالطبع لم أوافق على ذلك، كانت شمس يومي قاربت على الغروب وحان وقت إغلاق المحال، فعدت إلى بيتي على أن أكمل في صباح اليوم التالي ما بدأته اليوم.

مرت أيام ذلك الأسبوع تباعًا دون أي تغيير يحدث في الصباح، أذهب للبحث عن العمل تغرب الشمس أعود إلى منزلي دون جديد يذكر، أجلس لتناول العشاء مع أسرتي ثم نتسامر قليلًا، وأجلس لأقرأ بعض كتبي المفضلة أو أخلد إلى نومي دون ذلك لأستيقظ في صباح يومي التالي لأفعل ما أفعله كل يوم.

بعد مرور عشرة أيام تقريبًا وكنت حينذاك لم أجد عملي الذي أبحث عنه بعد، وقد بدأ بعض اليأس يتغلغل إلى قلبي بأنه عليّ أن أرضى بالواقع وأعمل بأي عمل قد أجده من أجل المال.

أنهيت بحثي ذلك اليوم وذهبت إلى المنزل، لم أكن أريد أن أتناول العشاء في ذلك اليوم، ولكنني خشيت

أن يحزن أبي فقررت الجلوس معه ومحاولة تناول الطعام.

أعدت والدتي الطعام لنا وجلست أنا وأبي وأمي وأختي الصغيرة نتناول الطعام، ثم فتح أبي الحديث معي عن بحثي عن العمل وأخبرته أنني لم أتوفق إلى ذلك بعد.

تفاجأت وقتها حين أخبرني أبي بأنه قد تحدث من قبل إلى رئيس عماله بالعمل، وطلب منه التوسط لي عن السيد تميم صاحب العمل من أجل العمل في أحد محاله، وتفاجأت أيضًا عندما علمت أنه قد وافق أن أعمل بوكالته في السوق وأنني سوف أكون بائعًا.

أخبرني أبي ذلك وكانت على وجهه علامات السعادة والرضا، أما أنا فقد ذهب كل ما شعرت به من يأس قبل ذلك وتبدل إلى أفراح وسعادة بداخلي.

استيقظت في صباح اليوم التالي، وكان لم يمر الكثير على شروق الشمس، كانت أمي أيضًا قد استيقظت من

أجل تجهيز الإفطار لوالدي وأنا انضممت إليه.

بعد أن انتهينا أنا ووالدي من تناول الإفطار توجهنا إلى مكان عمله، وحين وصلنا إلى هناك، كان هناك السيد عاشور في انتظارنا والذي أخذني بعد أن بدأ أبي عمله، وذهبنا معًا إلى وكالة السيد تميم.

ما أن وصلنا ودخلنا وجدت السيد تميم يجلس على مقعده في المكتب المخصص به داخل الوكالة، أخذني السيد عاشور ودخلنا إليه، ابتسم السيد تميم لنا وطلب مني الجلوس وأخبر السيد عاشور بالانصراف وأنه يتحدث معي وهناك مَن سيعرفني طبيعة العمل المطلوب مني.

كان السيد تميم من أكبر عائلات حلب، وكان معروفًا بالكرم والاحترام والتواضع، وكانت له هيبة كبيرة بين جميع سكانها وليس فقط تجار السوق.

لم أخطئ في حرف واحد في ما قولته عنه، ولم يخطئ حرفًا فيما وصلني عنه، فقد قابلني بابتسامة

رائعة أعتقد أنها قد سهلت عليّ يومي كله.

ابتسمنا وجلسنا نتحدث، سألني مجموعة التي تخص دراستي وخصوصًا الحساب.

V V V

(زكري)

حاولت التظاهر أمام أبي أنني لم أكن أعلم شيئًا، ولكنه لم يبالِ تعبير وجهي من الأساس، فقد كان ما يفكر به أكبر بكثير من الاهتمام بردة فعلي بعدما قاله.

بعد انتهاء حديث أبي قمت بالصعود إلى غرفتي وعقلي منشغل بشيء واحد فقط، ما الذي حدث من أجل أن نغادر في ذلك الوقت؟ وماذا يعني قول أبي إن لم نغادر سوف تُباد عائلتنا؟ ومَن الذي يكمن لنا كل ذلك الشر بداخله؟

مرّت تقريبًا ساعتين حين دق باب غرفتي ووجدت أبي يدخل إليّ وقال لي سوف أكلفك ببعض المهام تنفذها تباعًا، وعليك أن تنجزها سريعًا ولا تشعر أحد بك.

استغربت من قول أبي ولكن أومأت له موافقتي على ما قاله، فقال لي إن أول هذه المهام الذهاب لبعض

التجار وتحصيل منهم أموالًا ولكن دون أن يعلم أحدهم بأمر رحيلنا.

لم تكن تلك المرة هي المرة الأولى التي أقوم بهذا العمل، فقد خرجت من منزلي أتعامل بطبيعتي وأذهب إلى التجار وأجمع المال، منهم مَن أعطاني المال كاملًا، ومنهم مَن أخبرني أنه لا يزال لم يجمع مبلغ مديونيته ويحتاج إلى الوقت لبيع باقي البضائع فآخذ منه المال الذي لديه على أن أخبر أبي بذلك.

الغريب أن اسم السيد عتمان لم يكن من أسماء هؤلاء التجار الذين قد أمرني أبي بالمرور عليهم، ولكنني أعتقد أن تاجرًا بحجم السيد عتمان لا يترك عليه ديونًا لأحد، فحجم تجارته يوضح ذلك تمامًا.

بعد ما أنهيت ما قد أمرني أبي به قد رجعت إليه في المنزل، ولكنني لم أجده في الحقيقة، كنت في شدة القلق عليه لم أني أبدًا ما قد سمعته بالأمس.

بعد ساعة تقريبًا وجدت والدي قد عاد وسألني هل أنجزت مهمتي أم لا، أخبرته بما جمعته وأيضًا بالتجار الذين لم أحصل منهم كل المال، وأعطيته ما جمعته، أخذه أبي ودخل إلى غرفة صغيرة بالمنزل كان قد خصصها كمكتب له، لم يطل بها كثيرًا ثم عاد إليّ وأخبرني بأن أخرج وأطعم الحصان وأجهز العربة، ولكن أبقيها بداخل الحظيرة ولا أخرجها.

كانت لدينا حظيرة واسعة بداخلها حصان وعربة وبعض الجمال، ولكن الجمال كانت للتجارة ليس أكثر وقد باعها أبي.

أعترف لكم أيضًا أنني لم أسأل أبي يومًا عن كيفية تدبير بيت لنا قبل الانتقال من مدينة لأخرى، وهل البلد التي سوف نسافر إليه استطاع أبي أن يوفر لنا بيتًا بها أم لا، ولكن ما علمته فقط أننا سوف نسافر إلى مصر.

٧ ٧ ٧

(وهيب)

أنهيت حديثي مع السيد تميم وخرجنا من المكتب، ذهب أبي إلى مكتب في مقدمة الوكالة، قال السيد تميم إن هذا المكتب سوف يكون مكتبي، وأنا سأعمل به أسجل ما يدخل وما يخرج من الوكالة بالعدد وبدقة، وأن أشرف على العمال الذين يعملون بالشيالة داخل الوكالة، وأراقبهم في ترتيب المخازن، وأن أسجل كل ما بها، وأنني المسؤول عن جردها الشهري، وسوف يكون كل ذلك تحت إشراف السيد يامن ناظر الوكالة.

بدأت في استلام عملي، وكان في جعبتي اثنين من العمال أشرف عليهما.

مرّت الأيام تلو الأخرى وأنا ازداد كل يوم خبرة أكثر في عملي، وتزداد ثقة السيد يامن لي الذي لم يكن يكبرني في السن بكثير، بل كان قد تجاوز العشرين ببعض أعوام قليلة، وأيضًا يزداد معًا حب السيد تميم لي والثناء عليّ وعلى عملي حتى أن أخباري بالعمل قد

وصلت للسيد عاشور وإلى أبي أيضًا، وازداد فخر أبي بي حتى أخبره السيد عاشور ذات مرة أنني نجحت كي أجعله يفخر بأنه قد توسط لي لدى السيد تميم، ولم يندم على ذلك قط.

داخل عملي كان العاملان معي يحبانني أيضًا، فكان الأول منهما رجل يضعفني في عمري عمرًا، فكنت أحسن التعامل معه.

أما الثاني فكان شاب أكبر مني بعامين تقريبًا أو ما يزيد بقليل، ولكنه كان مختلفًا تمامًا، كان شابًا ضعيفًا هذيلًا يستخف به الجميع ويحقر الكل من شأنه، لم يكن من سكان بلادي ولكنه جاء إلينا مع قافلة تجارية قالوا إنهم وجدوه بطريقهم، وبعد أيام رحلت تلك القافلة وتركوه هنا فأخذه السيد تميم ووفر له عملًا عنده، وأيضًا سكن وبعض الطعام وكان كريمًا جدًا معه.

لم أكن أعلم قصة ذلك الشاب، فكان لا يتكلم العربية والكل يسخر منه لذلك، لكن لغته لم تكن بالغريبة علينا

فهو فارسي الأصل، كنت أدافع عنه وأحبه وقررت أن أعلمه اللغة العربية، ومن هنا أصبحنا أصدقاء إلى ذلك اليوم الذي تغير به كل شيء.

V V V

(زكري)

في وكالة السيد تميم تعرفت على السيد وهيب الذي بعد أيام قليلة أصبح وهيب صديقي الوفي.

علمني اللغة العربية وكان يرفع ويدفع عني سخافة أي شخص يحاول إلحاق الأذى بي، وبعد أن أصبحت أتحدث العربية بطلاقة مثل الجميع قصصت عليه قصتي كاملة.

خرجت مع أبي وعائلتي في مساء ذلك اليوم، وقد كان الليل قد انتصف وأخذنا طريقنا إلى خارج البلاد، كنا نعلم أنها رحلة صعبة وتستغرق أيام كثيرة.

مع يومنا الثاني في الطريق كنا نسير ليلًا ونريح بالنهار، لم أعرف لماذا أراد أبي ذلك؟ ولكنه قال أيضًا أن نصل إلى حدود العراق ثم نعكس يومنا ونتحرك نهارًا مثل الجميع ونريح أيضًا ليلًا.

كان أبي بارعًا في معرفة الطريق ليلًا والاستدلال بالنجوم.

وفي يومنا الثاني في الطريق كان أبي قد بدأ بالارتياح وأنه لا يتبعنا أحد، خرج علينا رجال بالخيول والسيوف، كنت أعتقد أنهم قطاع طرق، ولكنهم كانوا يعرفون هدفهم بالتحديد إبادة العائلة، قتلوا عائلتي جميعًا، وقد أصبت أنا بيدي وأغرقت الدماء جميع ملابسي، لم تكن إصابتي بالغة بحجم صدمتي، كنت أعرف هؤلاء الرجال جيدًا، إنهم رجال السيد عتمان قد كشفوا وجههم بعد أن اطمأنوا إلى موتنا جميعًا، وقد أخذوا الخيول والعربة والمال الذي كان مع أبي وانصرفوا، لم يعلموا أنني ما زلت حيًا.

لم أقدر على الرجوع بعد ذلك إلى بلادي، عليَّ أن أرحل بعيدًا أو أن أموت بعيدًا في الصحراء.

حاولت قدر الإمكان أن أحفر حفرة في تلك الأرض وأن أدفن جثث عائلتي، وقد نجحت في ذلك، وبعدها هربت في الصحراء إلى أن وجدتني قافلة وأتت بي إلى هنا.

أصبحت أنا ووهيب أصدقاء، وانضم إلينا السيد يامن أيضًا، ومع الوقت كنا كل ليلة نجلس في جلسات سمر، وكانت كثيرًا ما تكون هذه الجلسات بيني وبين السيد يامن خصوصًا بعد زواجه من ابنة السيد تميم.

ذات يوم اجتمعت أنا والسيد يامن بمنزله القديم قبل أن ينتقل للعيش مع السيد تميم بعد زواجه من ابنته الوحيدة، وقد كان يمتلك مكتبة بها بعض الكتب، ولكنه قد سألني إن كنت أستطيع قراءة ذلك الكتاب لأنه ليس بالعربية، كنت أعرف تلك اللغة جيدًا، نعم إنها الفارسية القديمة.

قرأت الكتاب وكان وجهي يتصبب عرقًا لأنه يتحدث عن ملك من ملوك الجن وعائلته المسؤولة عن حماية كل الكنوز المدفونة تحت الأرض عن طريق الرصد، تلك الأسرة تحمي أي كنز مدفون تحت الأرض عن طريق رصد معيار كيميائي أو فيزيائي أو حتى رصد الأوهام والخيالات.

لا تستطيع أن تصل إلى كنز عن طريق خدمتهم، ولكن هناك عاقبة ولكن صفحات الكتاب لم تكن كاملة فلم أستطع قراءتها فقد كان الكتاب قديمًا جدًا وتهالكت بعض صفحاته.

لكن كان هناك قسم وطريقة استدعاء موجودة في آخر الكتاب وكُتب أسفلها جالب الكنز صاحب الغنى وأسفل الصفحة كُتب السيد ابن الجن.

اندهشت مما قرأته وازداد الفضول في دخلي إلى ذلك الشيء، وأيضًا نفس الشيء لدى السيد يامن وقررنا ألا نخبر ثالثًا عن ذلك الأمر حتى نعلم ماذا سوف نفعل.

مرت الأيام وراء بعضها، الصباح عمل ومساءً نجلس جميعًا أنا ووهيب والسيد يامن نتسامر ونتحدث أنا والسيد يامن إلى ما سوف نفعل، إلى أن قررنا نخاطر تلك المخاطرة ونستدعي ذلك السيد ابن الجن، وكما لُقب في الكتاب جالب الكنز.

اجتمعنا مساءً في بيتي الصغير الذي قد وهبه لي السيد تميم وأحضرنا البخور المذكور في الكتاب، وأيضًا أحضرنا طبق من الفخار كما ذكر وشمعة وسكينة صغيرة، جلسنا في وجه بعضنا البعض ووضعنا طاولة صغيرة أمامنا ووضعنا فوقها الشمعة بعد أن أشعلها السيد يامن.

وبدأت الخطوة الأولى بصرف عمار المنزل:

"اوستا اوستا اشفتا اشفتا

اى مردم اين خانه الف ها، يحال، اين خانه الف ها

آنها در ابتدا بيرون رفتند ووضع به جاى اى مردم اين خانه الف ها رفت

بيرون برويد، مردم أن خانه، بيرون برويد، مردم خانه، از جين

اوتاتا اشفتا اشفتا بيرون رفت تا من نيازهايم را با الف ها بلافاصله ترک کنم".

انتهيت من ذلك القسم حتى لاحظت أنا والسيد يامن أن بعض قطع أثاث البيت بدأت بالاهتزاز، وكان ذلك دليلًا انصراف عمار البيت كما ذكر بالكتاب، ازداد ذلك من الشغف في داخلي أن نكمل ما قد بدأنه سويًا في ذلك الوقت.

أشعلنا بعض الفحم وكان مكتوبًا بالكتاب طريقة الاستدعاء أن ننقش طلسم ذكر بالكتاب على الطبق الفخار من الدماء، ولكن ليست أي دماء وحسب بل هي دماء من سوف يقوم بالقراءة.

أخذت السكينة وجرحت أحد أصابعي ورسمت ذلك الطلسم على الطبق، وأخذت بعض البخور ووضعتها في المبخرة وازداد دخانها، وأمسكت بالكتاب وبدأت أقرأ القسم الثاني الخاص بالاستدعاء:

"من سوگند می خورم، خداوند، أن مكان من به شما، يكی از اساتيد الف ها، قسم می خورم من به شما قسم می خورم، پادشاه گنجينه ها، وهر گنجی را در هر جا نگه می داريد من قول می دهم كه توانايی

شما وقدرت شما براى حضور در يک زمان من را بدهد. اين مكان، به عنوان اگر من براى شما سلطنت خون واين خون در بقيه ومحل ودر تاج وعده آماده شده براى شما حالا بيا بيا در أن محل".

ما أن انتهيت حتى بدأت حرارة المكان ترتفع وبشدة، وأنا ويامن نرتجف.

بدا لي أن ظلي الذي يظهر من ضوء الشمعة أكبر بكثير، بدأت أتحرك يمينًا ويسارًا ولكن الظل لم يتحرك.

نظرت إلى يامن الذي تصلَّب بمكانه وكان لا يتحرك، حاولت التحدث إليه ولكنه لا يجيب.

بدأت أشعر بحرارة شديدة من خلفي، ولكنني لم أحاول النظر إلى الخلق قط، حتى أتى صوت من خلفي كان صوت به الكثير من الحشرجة صوت وكأنه يهمس إليَّ قال:

- أعلم ماذا تريد.

ازداد ارتجاف جسدي وازدت بالتصبب بالعرق.

فقال:

- تريد الكنز، ولكن لا يوجد شيء دون مقابل، سوف أعطيك الكنز وفي المقابل ترد إليّ خدمة.

ابتلعت ريقي بصعوبة ثم قلت:

- أي خدمة؟!

- أعطيك من يكون تابعًا لك، وأعطيك الكنز على أن تدخل مكان ذلك الكنز وتخرجه بنفسك، لكن لن يكون ذلك الكنز لك.

ارتجفت وازداد عرقي فتابع:

- ليس أمامك اختيار الآن.

أجبته وأنا أبتلع ريقي بصعوبة:

- ولماذا أنا من يُخرج ذلك الكنز ما دام هو ليس لي؟

- هذه هي خدمتك لي، أعطيك التباع معك في كل مكان وأي وقت يحمونك من كل شيء، أعطيك الكنز وأعطيك السيادة، ومقابل ذلك تُخرج ذلك الكنز المدفون في ذلك المكان وتحصل على كنزك الأكبر، اخلع ذلك الزي عنك.

خلعت ملابسي وجدت نقوشًا كأنها نُقشت على جسدي لم أفهم ما هي حتى أجابني هو.

- هذا عهد الدم الذي عقدنها سويًا، بدمك أصبحت أتحكم بك، وإذا خلفت عهدك نزل عليك العقاب.

أومأت برأسي موافقًا بدون أن أتحدث.

- الآن انظر خلفك.

ازداد ارتجاف جسدي، وما أن نظرت حتى وجدته خلفي، كان طويلًا بكثير، عملاق الجسد ومغطى بالشعر تمامًا، أسود اللون غليظ الوجه ذات عين واسعة تضيء كأنها مُشتعلة بالنيران.

همس إليّ قائلًا:

- هذا عهدي أنا وأنت فقط لم يعلمه أحد، وسوف تدلك خدمتك عن الكنز، أما صديقك فهناك من تحكم بعقله وهي له شيء آخر، فلم يعلم شيئًا، سوف تفيق معه على أنه لا شيء حدث سوى اهتزاز البيت ووقع كل قطع الأثاث.

تبخر من أمامي في الحال ولم أدرِ ماذا حدث، حتى وجدت نفسي ملقى على الأرض أنا ويامن الذي كان يتصبب عرقًا من انتفاض جسدي إلى أن أخبرته أنني بخير وأنني قد أصابني الخوف فقط.

أجابني يامن بأنه هو الأخر أصيب بالخوف، وحمد لله أننا لم نصاب بشيء آخر وتعهدنا ألا نحاول تجربة ذلك مرة أخرى،

ثم انصرف يامن.

- سيد زكري لا تقلق أنا سيمور قائد خدمك كلّفني سيدي أن أتبعك في كل مكان، وأن أطيع كل أوامرك،

أنا وكل رجالي في خدمتك، يبلغك سيدي بأن تحفر أسفل موقفك هذا سوف تجد هديته لك من الذهب.

* * *

مر تقريبًا ثلاثة أشهر، كنت أذهب إلى عملي وأنتهى منه إلى جلستي مع وهيب والسيد يامن، كان هناك العديد من الحزن في تلك الشهور، وكان أكبر الأسى هو وفاة السيد تميم.

أصبح يامن يدير كل شيء بعد وفاة السيد تميم، وأصبح وهيب أيضًا هو ناظر الوكالة بدلًا من السيد يامن، وأصبحت أنا أقوم بعمل وهيب، ولكن علاقتنا ببعض أصبحت أقوى وأكثر وأصبحنا أصدقاء أكثر وأكثر.

كنت أحفظ كنزي من الذهب دون أن يعلم أحد به، أما أنا ويامن لم نفتح ذكريات ذلك اليوم تمامًا وقد نسيناها، ذلك ما تصوره هو، أما أنا فلم أعد أقدر على نسيان أي شيء، حتى أخبرني سيمور صباح اليوم أن طلب السيد مني السفر إلى مصر.

وصلت إلى عملي وأنهيت يومي، وفي المساء تجمعنا أنا ووهيب ويامن، أخبرتهم رغبتي في السفر إلى مصر، استغربا كليهما من تلك الرغبة، ولكنني أخبرتهما أنه هناك بيت لأبي، وكانت له أموال مع بعض التجار فعليّ أن أذهب من أجل حقي، لم يقتنعا كثيرًا بذلك ولكن مع إصراري على ذلك، قد وافقا الاثنان على ألا تنقطع أخباري عنهما.

V V V

(يامن)

مرَّ تقريبًا على رحيل زكري إلى مصر عامين، لم تصلنا أي أخبار عنه، كنت أفتقده بشدة في الحقيقة، وكذلك وهيب، كنا نتذكره دائمًا في جلستنا مساءً، ونتذكر كل يوم كان معنا به هنا وكل أحداثه وكلامه وحتى طعامه الفارسي الذي كان يعده لنا في بعض الأيام.

وذات صباح بينما كنت أنا جالسًا على مكتبي في الوكالة أراجع بعض الأوراق والدفاتر التي أمامي حتى وجدت من يلقي عليّ تحية الصباح، لم يكن ذلك الصوت غريبًا على أذني، قد سمعته منذ فترة ولكنها ليس بالقريبة، نعم إنه صوت زكري.

* * *

كانت تلك أول زيارة تجمع بيني وبين يامن، استمرت الزيارات بيننا بعد ذلك والتجارة أيضًا إلى أن سافرت إلى بيت القطان، كما طلب مني السيد ابن الجن استطعت معرفة البيت وبناء بعض العلاقات هناك،

ولكن كل ما أجهله هو كيفية دخول ذلك البيت ولكنني قد اعتدت أن أضع كل شيء لوقته.

بعد أن استلمت البيت من المعلم فتحي وفي طريق العودة إلى منزله سمعنا صوت ضجيج صاخب، هممنا بالإسراع إلى مصدر الصوت واكتشفنا أنه قد كان قدم من بيت المعلم فتحي، فقد اندلع حريق بحظيرة منزله واشتد ذلك الحريق.

حاولت أنا ورجالي وأيضًا المعلم فتحي ورجاله إطفاء ذلك الحريق وإنقاذ ما بالحظيرة من ماشية، وبعد أن نجحنا في ذلك الأمر جلسنا أنا والمعلم فتحي حتى هدأ الأمر وتركت المعلم فتحي كي يستريح.

ذهبت إلى منزلي أنا ومن مع من رجالي وعربات ودخلنا إلى الداخل، وكنا في حاجة إلى الراحة فخلد كل منا إلى نومه.

في صباح يومي التالي مررت على المعلم فتحي في منزله، كان يجتمع مع أبناء عمومته ففضلت الانصراف

على أن أعود له في وقت آخر.

بعد مرور ساعتين تقريبًا طرق باب المنزل، وكان على الباب المعلم فتحي والحاج عبدالفتاح وأحمد استأذن في الدخول وأذنت لهم.

جلسنا في المندرة نتحدث عن ما حدث في بيت المعلم فتحي، حتى قال أحمد إن مَن فعل ذلك ينتمي إلى عائلة عباس التي تنافسهم في التجارة، رفض الحاج عبدالفتاح كلام أحمد الذي أصرَّ أن ما حاكاه لعمه وأبيه في الصباح صحيح وعليهم تصديقه، إلى أن قال أحمد أسألوا السيد زكري فهو يعلم ما أعلمه.

كان في ذلك الوقت سيمور قد أتى إليّ ليقص لي ما حدث بالأمس فأومأت برأسي إيجابًا بالموافقة على كلام أحمد وقصصت لهم ما عرفته من سيمور.

بعد أن انتهيت ارتسمت ملامح الدهشة على وجه فتحي وعبدالفتاح، أما أحمد فقد كان سعيدًا.

لم ينطق عبدالفتاح بحرف حتى قطع فتحي ذلك الصمت وقال نفس ما حاكاه أحمد لنا في الصباح بالحرف لم تزيد ولم تنقص في شيء

كان لكلامي أثر النار في القش، فكونت أنا الشرارة التي أشعلت النيران في البلدة وقيام حرب بين العائلتين استمرت ثلاثة أشهر.

طيلة هذه الشهور كان خلالها المعلم فتحي يتردد عليّ والعمل بيننا قائمًا أسافر إلى الإسكندرية ثم أعود، حتى هدأت الأوضاع تمامًا بعد رحيل كل من تبقى من عائلة عباس، إلى أن طلب مني المعلم فتحي أن نجتمع مساءً في منزله.

في المساء أتى إلى منزلي المعلم فتحي ومعه الحاج عبدالفتاح، جلسنا في مندرة المنزل، تحدثنا في بعض أمور التجارة، ثم فتح الحاج عبدالفتاح الحديث وقال:

- فيه بيت هنا ملك للعيلة، البيت ده مقفول من بعد وفاة جدي اللي قبل ما يموت وصى إنه ميتفتحش

ومحدش عارف السبب إيه.

ثم تابع بقوله:

- في الحقيقة مكناش مصدقين كلام أحمد عن موضوع الحريق اللي حصل في بيت فتحي من شهور، ولكن إنت أكدت لنا صحة الكلام ده.

فقاطعه المعلم فتحي قائلًا:

- إحنا بنثق فيك يا زكري وفي ما بينا عيش وملح، البيت ده كنا بنسمع عنه قصص كتير زمان، ومحدش فينا عارف حقيقتها واللي إحنا نعرفه إن جدي قفل البيت ده قبل ما يموت بفترة، وقعد مع عمي في بيته وأدى عمي أوراق البيت ده ومحدش فينا عارف إيه اللي فيه ولا حقيقة القصص دي.

كنت أنظر إليه في دهشة وكأنني لا أعلم شيئًا عن ذلك البيت، وفي الحقيقة أنا لا أعلم إلا أنه بداخله كنز مدفون ولكنني لا أعلم ما هو.

ظللت أنظر إليهما إلى أن انتهيا من حديثهما فأجابتهما:

- طيب إنتم محتاجين مني إيه في الموضوع ده؟

أجاب الحج عبدالفتاح:

- إحنا عاوزين نعرف قصة البيت ده إيه؟ وليه جدي قفله وقال محدش يدخله ولا يعيش فيه؟!

فقاطعه المعلم فتحي:

- بس الموضوع ده يفضل سر بينا إحنا وبس يا زكري.

ظللت أفكر للحظات ثم أجابتهما:

- أحتاج إلى يوم وسوف أجيبكما ماذا نقدر أن نفعل.

- تمام يا زكري يا أخويا نتجمع بكرة بالليل عندك هنا برضو. قالها المعلم فتحي

- تمام يا معلم.

انصرف المعلم فتحي ومعه الحاج عبدالفتاح، وما أن أغلقت الباب

حتى وجدت من يقف خلفي وقال:

- كنت أعلم بمجيئهما إليك إلى هنا.

ابتلعت ريقي من المفاجأة ثم نظرت إليه وأجبت:

- وماذا سوف نفعل؟

- لا سلطة لك أو لخدمك دخل ذلك المكان.

اندهشت من إجابته ولكنه أكمل.

- دُفن أسفل ذلك البيت مقبرة لأسرة من حكام مصر قديمًا، حاكم لُقب بابن الآلهة، علم صاحب المنزل بها وحاول الوصول إليها ولكنه فشل في ذلك، لم يقدر بعدها بالبقاء في منزله وفضَّل أن يغلقه.

- وكيف أصل إليها أنا؟

- أخبرتك أنك لا تملك السلطة هنا أنت وخدمك، ولكن هم لديهم من يملك.

- أتقصد أحمد!

- نعم هو من يقدر على دخول ذلك المكان والوصول إليها عن طريق قسم عرفه صاحب البيت، ولكنه قد أخفاه عن أي شخص بعدما لم يقدر على الوصول إليها.

- وما المطلوب مني؟

- تصل إليها وتأخذ نصف ما بها في المقابل تحرق ورقة ذلك القسم دخل البيت بعد الوصل إليها.

ينتهي عهد الدم بيننا بعد ذلك، وإن أراد أن يظل معك أتباعك فلا مانع.

- وماذا تستفيد إن حُرق ذلك؟ لم أكمل الجملة حتى شعرت بحرارة في جسدي وألم شديد.

- أخبرتك من قبل ألا تسأل وإنها خدمة مقابل الأخرى.

أومأت برأسي موافقة على ذلك دون أن أتحدث من شدة ألم جسدي.

- سيوفقون في النهاية على الدخول إلى المقبرة، وهذا ضمان كنزك، الطمع في هذه العائلة لم ينتهِ بعد.

انصرف بعد ذلك، أما أنا فقد حلَّ بي التعب، جلست في مكان لفترة ولم أتحرك.

مرت بعض الساعات حتى شعرت بالنعاس فذهبت إلى غرفتي أريد النوم، ما أن غالبني النعاس حتى وجدت نفسي أقف في الصحراء، ثم أسمع بعض الأصوات لا أعرف مصدرها، يعلو الضجيج شيئًا فشيئًا، أصوات أقدام تتحرك أصوات أقدام مختلفة أصوات في كل مكان، أصوات مختلفة عن بعضها البعض، أصوات أناس تتحدث لا أعلم ماذا يقولون، الصوت يصل إليَّ مثل الهمس، أصوات أقدام تتحرك حولي، إنها تحاصرني.

أعلم إنه حلم ولكنني أريد الخروج من هنا.

سوف أركض أركض وبشدة، كل ما حولي صحراء، لكن لم أتوقف عن الركوض، هناك مبنى سوف تذهب إليه، أي مبنى هذا لا أستطيع أن أحدد ملامحه، ما هذا الصوت إنه صوت بوق.

صوت أقدام تزلزل الأرض من أسفل قدمي.

ضوء المكان يخلف شعاع النور أحمر اللون، ماذا يحدث حولي.

ااااه..... استيقظت من نومي كانت الشمس قد أشرقت.

جلست على سريري أفكر في ذلك الكابوس الذي ظل يراودني فترات طويلة ولا أعلم ما هو.

مرت بعض الساعات حتى خرجت من المنزل واتجهت إلى وكالة المعلم فتحي.

- صباح الخير يا معلم.

- وعليكم السلام يا زكري، ئ

- خير يا زكري يا أخويا.

- خير إن شاء الله، كنت جاي بخصوص موضوعنا إمبارح.

- تمام بس الأول أعمل حسابك نتعشى النهارده سوا عندي والحاج عبدالفتاح هيكون معانا.

- بس يا معلم...... قاطعني قائلًا:

- مفيش بس يا زكري عيب ترد عزومتي، وبعدين المكان هيبقى أحسن نتكلم براحتنا.

- تمام يا معلم اللي تشوفه.

- خليك قاعد معايا بقى النهارده هنا، أهو تساعدني شوية في الحسابات. قالها فتحي وهو يبتسم

جلسنا نتحدث بعد ذلك في بعض أمور التجارة وبعض الأسعار الحالية، وأيضًا في الأخبار المنتشرة حول زيادة الضرائب، إلى جانب أنني كنت أستفيد منه في

الحقيقة، هو تاجر شاطر ولديه العديد من الخبرات في البيع والشراء.

انتهى بيننا الوقت إلى غروب الشمس وبداية انتهاء العمل في السوق، فأعطى المعلم فتحي لرجاله بعض الأوامر الخاصة بالشغل وتحركنا إلى منزله وسوف يلحق بنا الحاج عبدالفتاح هناك.

كان المعلم فتحي أرسل إليه رجلًا من العاملين لديه يخبره بذلك.

وصلنا إلى منزل المعلم فتحي وبعد لحظات وصل إلينا الحاج عبد الفتاح، جلسنا نتناول العشاء وبعد ذلك طلب لنا المعلم فتحي الشاي.

- إزيك يا حاج. قالها فتحي

- كله تمام والله يا فتحي في نعمة والله.

- ربنا يديمها عليك نعمة يا رب. ثم نظر إليّ وهو يبتسم ابتسامته المعهودة وقال:

- خير يا زكري قولنا قدرت توصل لحاجة؟

- أنا وصلت لبعض حاجات بس في حاجات مش عارفها.

- مش فاهم حاجة. قالها الحاج عبدالفتاح

- الحقيقة إن خدمي ملهمش سلطة في كل مكان، بمعنى إن هما المنطقة المحاطة للبيت مقدروش يوصلوها بس عرفوا حاجات كتير عن البيت، قدروا يعرفوا إن البيت ده مقفول بعد ما صاحبه اكتشف إن فيه مقبرة مدفونة تحته ترجع لأسرة حكمت مصر قديمًا، المقبرة دي هو حاول يفتحها بس الرصد اللي عليها كان صعب جدًا عليه مقدرش يتحمله وقرر إنه يقفل البيت ده.

- يعني إيه ملهمش سلطة هنا! أمال مين اللي لي سلطة؟ ومقبرة إيه دي؟ قالها فتحي

- مقبرة فرعونية لابن ملك من ملوك مصر القدام، خدمتي ملهاش سلطة لأن في عالمهم في حدود لكل

حاجة زي عالمنا كده محدش يقدر يتخطاها، أما بقى اللي ليه سلطة فهو أحمد.

- أحمد! أحمد مين؟ أحمد ابني! قالها عبدالفتاح

- أيوه أحمد بس اللي يقدر يعرف كل حاجة باللي جوه البيت ده، هو اللي يقدر يدخل لكن أنا لا، أقدر أدخل البيت طبعًا عادي بس مقدرش أعرف أي حاجة جوه البيت.

- لا طبعًا الكلام ده مستحيل، أحمد ده لسه عيل.

أجاب فتحي:

- اهدى بس يا ابن عمي عاوزين نفكر إيه اللي ممكن نعمله.

ظل الصمت مسيطرًا علينا جميعًا لبعض الوقت إلى أن قطع ذلك الصمت فتحي قائلًا:

- طيب دخلنا البيت وبعد كده إيه؟ يعني نوصل للمقبرة دي إزاي؟

- المقبرة دي مدفونة تحت البيت أكيد، بس اللي أنا فهمته إن موضوعها مختلف عن المقابر التانية، يعني لم تكتشف مقبرة بتحفر لحد ما توصل ليها، وبعد كده بتفك الرصد اللي عليها علشان تعرف تدخلها، لكن الموضوع هنا مختلف، هنا لازم تفك الرصد الأول علشان يظهرلك موقعها بالتحديد.

- نفك الرصد ده إزاي؟ ويعني إيه رصد أصلًا؟

- الرصد ده هو حماية المقبرة دي، حاجة كانت بتتعمل زمان تمنع الحرامي من دخول المقبرة.

- طيب إنت تقدر تفك الرصد اللي بتقول عليه ده؟

- لا من غير خدمتي مقدرش.

- يعني الحل إيه؟

الحل اللي أنا شايفه الحاج عبدالفتاح رفضه، الرصد اللي على المقبرة دي رصد أوهام بمعنى إن الجن اللي عليها بيعرف إنت بتخاف من إيه عن طريق إنه

يستجوب قرينك ويتمثلك فيه علشان يخوفك فتبعد عن المقبرة، علشان كده من غير خدمتي مقدرش علشان في وجودهم هيبعده الجني ده عن قريني فهقدر أوصل للمقبرة.

- تمام إحنا كده محتاجين نفكر هنعمل إيه.

قاطعه الحاج عبدالفتاح الحديث بعد طول صمته:

- تفكر في إيه، أحمد مش هيدخل البيت ده.

ثم انصرف وهو غاضبًا، حاولت اللحاق به لكن المعلم فتحي قد منعني قائلًا:

- سيبه لحد ما يهدى لوحده ماحدش هيعرف يتكلم معاه وهو كده.

جلست إلى جواره قليلًا ثم استأذنت بالانصراف فأذن لي.

عدت إلى منزلي ولم أفكر فيما قد يحدث.

* * *

مر تقريبًا أكثر من ستة أسابيع على حديثي مع المعلم فتحي والحاج عبدالفتاح، اعتقدت خلال هذه الأيام أنهما قد صرفا النظر عن دخول ذلك البيت.

لم أكن أعلم ما أفعله في ذلك الوقت، ولكنني ظللت أذهب وأعود كما كنت أعتاد، إلى ذلك اليوم الذي ذهبت به إلى المعلم فتحي في الوكالة وأخبرني ذلك اليوم:

- أنا نجحت أن أقنع عبدالفتاح ابن عمي إننا ندخل البيت وإن أحمد يكون معانا، بس هو الموضوع ده ممكن ياخد قد إيه؟

أجابته قائلًا:

- مش عارف الحقيقة، بس المهم الأول نقدر نحدد مكان المقبرة.

- طيب المقبرة دي نوصل لها بعد فك اسمه إيه ده صح؟

- أه يا معلم نقدر نوصل، بس المهم نفك رصدها الأول وده الجزء الصعب.

- طيب وده إزاي بقى؟

- بص معلم جدك زمان عرف القسم اللي بيفك الرصد ده واحتفظ بيه مع أوراق البيت ده، بس يا ريت أشوفه معلم قبل ما ندخل.

- نوصل بس للورق ده الأول، ده كده الموضوع ده بقى صعب أوي.

* * *

مرَّ أسبوع تقريبًا إلى أن أتى إلى منزلي مساءً المعلم فتحي وأخبرني وقتها أنه قد نجح في الوصول إلى ذلك الورق الذي أخبرته عنه، وأخبرني أنه يريد دخول المنزل في أقرب وقت.

ترك لي الأوراق ثم انصرف لكي أطلع عليها.

* * *

في اليوم التالي وكانت الشمس قد غربت منذ ساعات واقترب منتصف الليل أتى إليّ المعلم فتحي والحاج عبدالفتاح ومعهما أحمد، كنا قد اتفقنا على دخول المنزل في فجر ذلك اليوم.

* * *

قبل الأذان بساعة تقريبًا خرجنا من البيت، واتجهنا إلى ذلك البيت الذي كان بعيدًا عن باقي البيوت وبمنطقة بها الكثير من الهدوء.

* * *

دخلنا إلى المنزل الذي تفاجأت وقتها أنه ما زال يحتوي على أثاثه كما هو، كنا على استعداد لما سوف نفعله ونعلم تمامًا صعوبة ذلك.

أشعلنا مصباح (لمبة الجاز) الذي كان بداخل المنزل لكي يضيء لنا المكان، وأمسك أحمد الأوراق وبدأ بقراءة القسم، ومع قراءة أحمد انطفأ نور المصباح ولكن كان هناك ضوء آخر.

* * *

الحكايات اللي سمعنها بعد كده عن البيت كتيرة، بس المهم إنك تعرف إن مفيش حد عرف إيه اللي حصل جوه البيت في اليوم ده، جدي فتحي وجدي عبدالفتاح بعد يومين ظهرت جثثهم مضروبين بالنار طلقة في دماغهم.

وجدي أحمد طلع من البيت بعد موت أبوه بيوم، بس كان بيقول كلام عجيب خدم جن وسحر وناس محبوسة، وجن اتقتل، أما الغريب زكري فده اختفى واتقال بعد كده إنه ظهر في إسكندرية مرة قبل ما يختفي نهائي.

الغريب برضو إن جدك علي اختفى ومحدش عارف هو مات إزاي، بعد ما قرار يدخل البيت ده ويمكن ده إنت أول مرة تسمعه، جدك علي قرار إنه يفتح البيت ده ويقعد فيه، تاني يوم وقبل ما يوصل للبيت كان اختفى، بس قال حاجة غريبة يومها، قال إنه هو قدر

يعرف اللي محدش يقدر يعرفه، وإن القوة في النسل الفردي لجدك الكبير سالم.

جدي أحمد من نسل سالم وجدي علي من نسل سالم وإنت من نسل سالم.

كلام غريب ومش مفهوم، بس أكيد لي دلايل وإنت هتفهمها، أنا عارف إنت بتفكر في إيه دلوقتي، بس لو مقرر تدخل البيت ده أنا داخل معاك ومن غير ما حد يعرف.

* * *

بعد مرور يومين تقريبًا، اجتمع أحمد ومحمود ومعهما فهد ومالك، وفي ذلك الاجتماع قص مالك وأحمد على محمود كل ما استطاع الوصول إليه حول الكتاب والمقبرة، وكان هناك أحداث كثيرة متشابهة بين الكتاب وبين الواقع الذي قد حكاه محمود.

- عندنا في الصعيد الحكاية بتتورث من جيل لجيل، وبتفضل ثابتة زي ما هي ومبتتغيرش، اللي كتب

الكتاب ده كان زكري واللي جوه البيت محدش يعرفه، بس لو فيه مقبرة هنحتاج نحفر ونشوف.

فأجاب مالك:

- الفارسي أو زكري زي ما بتقول قال إن البيت عليه تحصين محدش يقدر يدخله أو يبدأ يوصل للي جوه غير لما يفك التحصين ده، ولازم يبقى حفيد من النسل الفردي للابن الثالث.

- الابن الثالث لـ"سالم" والحفيد الفردي هو أحمد. قالها فهد

فأكمل أحمد قائلًا:

- الأهم من ده إننا لو دخلنا مش هينفع نرجع غير لما نوصل لحاجة، والأهم يكون قلبنا على قلب بعض.

* * *

في المساء اجتمع أحمد وفهد على انفراد.

- إنت متأكد من اللي إنت بتعمله ده؟ قالها فهد

- دي أكتر فترة في حياتي أنا منهار فيها نفسيًا وجسديًا وعاطفيًا، وأكتر وقت كنت محتاج الناس القريبة مني فيه وأكتر وقت خذلوني، أنا عارف إني فشلت في كل حاجة في حياتي، بس الفكرة أنا فشلت لحد فين، أنا عاوز أعرف اللي جاي، أنا هعمل إيه، ولو القصة قصة حياة أو موت أنا مش هفشل تاني.

* * *

اجتمع الأربعة في منزل أحمد، كانت الساعة تقارب السابعة مساءً وقت غروب الشمس، وأصبح الطريق خاليًا نوعًا ما، فلم يلاحظ تحركهم الكثير.

تحرك الشباب وكان يسبقهم محمود الذي كان أعلم منهم بالطريق إلى البيت، وما أن وصل إلى البيت حتى أحس برعشة في جسده فهو لا يعرف ما قد يكون خلف الباب المغلق.

شعر أحمد بذلك فلم يرد أن يشعر الآخرين، فتقدم إلى الأمام وسبق محمود وفتح الباب بالمفتاح الذي كان يحمله، فهو لم يخبر أحدًا بقصة المفتاح رغم إخباره لهم بكل شيء، دخل أحمد ومن خلفه محمود ثم مالك وفهد واستشعر الجميع بنسمة هواء غريبة.

نظر فهد إلى جدران المنزل وقال:

- إيه النقوش الغريبة دي؟!

فأجابه مالك:

- طلاسم، دي طلاسم البيت مخفية عن عالم الجن والعالم السفلي.

اشتدت نسمة الهواء وانغلق الباب فجأة وتحرك الجميع نحوه دون أن يتحرك فهد.

حاول الجميع فتح الباب ولكنهم فشلوا، ولا يزال فهد لم يتحرك من مكانه، هو متأكد أنه رأى ذلك المشهد من قبل.

* * *

أمسك أحمد الأوراق ثم نظر إلى فهد ومحمود وقال:

- مش هينفع إننا نرجع بعد ما وصلنا لحد هنا أنا لازم أوصل للمقبرة.

ارتفع صوت أحمد وقال:

"سمائيل سمائيل.. بخيم بخيم.. ريقن ريقن

أقسمت عليكم يا حراس المكان أن تنصرفوا في الحال بحق سمائيل والجن ابن الجان انصرفوا في الحال

الوحا الوحا.. الساعة الساعة.. العجل العجل".

اهتزت الأرض اهتزازة بسيطة، وعاد الأمر إلى ما هو عليه، ولكن مالك لم يكن على طبيعته بدأت ملامحه تتغير حتى تحوَّل إلى كتلة من النار وهو يقف أمام أحمد وفهد ومحمود، وضحك ضحكة أعتقد أنني قد سمعتها من قبل.

أنا أكره سماعها وبشدة.

- ااااه بيت القطان أكتر من مائة سنة مكنتش عارف أدخل البيت ده، أكتر من مائة سنة حاولت مع كل نسل سالم اللي عليهم الوصية والعهد.

نظر له أحمد ثم قال:

- إنت مين؟

قالها وبدون أن يستتشعر بأي خوف.

- أنا ابن الجن، ملك خزائن الأرض، القوة الأكبر في العالم السفلي، وإنت عليك العهد.

تمت بحمد لله

إلى القاء في الجزء الثاني من أكذوبة ابن الجن

بيت القطان

٧٧٧